الطريق إلى الله
سلسلة كتب إسلامية

١

هو الله

ياسين رشدي

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمدُ للهِ الكريم .. المجيب لكل سائل ..
التائب على مَنْ تاب .. فليس بينه وبين العبادِ حائل ..
جعل ما على الأرض زينة لها .. وكل نَعيمٍ لا محالةَ زَائل ..
حذَّر الناسَ من الشيطانِ .. وللشيطان منافذ وحَبَائل ..
فَمَنْ أسلَمَ وجهه لله .. فذلك الكَيِّسُ العاقِل ..
ومَن استَسْلَمَ لهواه .. فذاك الضالُّ والغافل ..
نَحْمَدُه تبارك وتعالى كَما أَثنى عَلى نَفْسه ..
فالحمد منه وإلى جَنابِه واصل ..
ونعوذُ بنور وجهه الكريم مِن الفتن .. فى عاجل أمرنا والآجل ..
ونسأله الفوزَ بالجنةِ .. ورفقةَ الصديقين والمقربين الأوائل ..
وأشهد « أن لا إله إلا اللهُ » ..
المنزه الذات عن الشريك والشبيه والْمُشاكِل ..
مَنْ لِلْعِبادِ غيرُه .. ؟ ومَنْ يُدبِّرُ الأمْرَ ويعدل المَائِل .. ؟
مَنْ يَشْفِي المريضَ .. ؟ ومَنْ يَرعَى الجنينَ فى بطونِ الْحَوامل .. ؟
مَنْ يَكْلأُ الناسَ وهُم نيامٌ .. ؟ وهَلْ لحميانه بَدائل .. ؟
مَنْ يَرْزقُ العصاة .. ؟ ولولا حلمه لأكلوا من المزَابِل ..
مَنْ يَنصرُ المظلومَ .. ؟ ولولا عدله لاستوى القتيلُ والقاتل ..
مَنْ يُظهرُ الحقَّ .. ؟ ولولا لطفه لحَكَمَ القضاةُ للباطل ..

مَنْ يُجيبُ المضْطَرَّ إذا دَعَاهُ .. ،
ومَن اسْتَعْصَتْ على قُدْرتهِ المسَائِل .. ؟
مَنْ يكشفُ الكربَ والغَمَّ .. ؟
وَمَنْ يفصلُ بين المشغولِ والشاغِل .. ؟
مَنْ يشرحُ الصدورَ .. ؟ ولولا هُدَاهُ لانْعَدَمَ الكوامِل ..
مَنْ كَسَانَا .. ؟ مَنْ أَطْعمَنَا وسَقَانَا .. ؟ وهيَّأ لنا المخارجَ والمداخِل .. ؟
مَنْ كفَانَا .. ؟ مَنْ هَدَانَا .. ؟ مَنْ خلَقَ لنا الأبناءَ والحلائِل .. ؟
مَنْ سَخَّرَ لَنَا جَوَارِحَنَا .. ؟ ومن طوَّعَ لَنَا الأَعْضَاءَ والمفَاصِل .. ؟
من لنا إذا انقضى الشباب .. ؟ وتقطعت بنا الأسباب والوسائل .. ؟

هُـــوَ « اللّـــهُ »

هو « الله » الإلهُ الحقّ .. وكل ما خلا الله بَاطل ..
وأشهدُ أن سيدنا محمدا عبد الله .. ولرسالة الحق حامِل ..
العربىّ .. القرشىّ .. الأمِّىّ .. الذى لم تنجبْ مثله القبائِل ..
سَل البلدَ الحرامَ .. متى أينعت الزهور وغرَّدت البلابل .. ؟
سَل الشُّهبَ النّيرات .. لماذا هى بين الجن والسَّماءِ حوائِل .. ؟
سل « آمنة » الشريفة حين وضعته .. من كُنَّ لها القوابِل .. ؟
سل « حليمة » التى أرضعته .. كيف سارت ناقتُها بين الرَّواحِل .. ؟
سَل صُوَيْحِباتها مِن المراضع ..

لماذا عَضَضْنَ عليها – من الغيظ – الأنامِل .. ؟

سَل « خديجة » عن حِمْلانه الكَلّ .. ومَن ناءت بحمله الكواهِل .. ؟
سَل قومَه عن صباه .. هل كان يَخْدع أو يُخاتِل .. ؟
سَل الأعداءَ عن خُلُقه .. واسأل عن حِلْمِهِ الأراذِل .. ؟
سَل رمال مَكَّةَ عن عَفَافِه .. وسَلْ منها العوالىَ والأسافِل .. ؟
سَل الهُلاَّك مِنْ آل هاشم .. كيف كانوا عنده فى رحمة وتواصل .. ؟
سل اليتامى مَنْ كفلهم .. واسأل عن حنانه الأرامِل .. ؟
سل « الحجَر الأسود » من وضعه فى مكانه .. ؟
ومَنْ كان للأمور الجلائل .. ؟
سل الحكماء إذا تكلم هو .. فهل هناك مقالة لقائل .. ؟
سل الأصحاب عن دفاعه عن الحق .. وكيف كان يناضل .. ؟
سل راية التوحيد من رفعها .. فهدّمت للشرك المعاقل .. ؟
سل العدل كيف تحقق .. فسارت بأمانه الظعائن والقوافل .. ؟
سل الدنيا هل زانها قبله أو بعده مماثل .. ؟
لولاه لانعدم الهدى .. وما كان فى الناس عالم أو فاضل ..
اللهم صلى وسلم وبارك عليه .. وقنا بحبه شر النوازل ..
وارزقنا شفاعته عند الخطوب وفى كل المنازل ..

* * *

أمـــا بعـــد

فإن أشرف العلوم العلمُ بـ« الله » .. وإنَ أشرف المعارف معرفةُ « الله » .. ولذا نقدم إليك – أيها القارئُ الكريم – هذه المحاولة المتواضعة ، فى الاقتراب من معرفة « الله » تبارك وتعالى .

* * موضوع هذا الكتاب .. وبكل الصدق والشوق .. موضوع شائق .. شائك .. وهل هناك أشوق من الحياة مع واهب الحياة ؟ ! تأنس لنوره ورحمته .. وتَشْرفُ وتستشرِف لحنانه ومودته .. ؟

* * ولكن إذا تكلمت عنه .. فالأمر بقدر حلاوته ومتعته يختلف .. إنه بقدر اليُسر صعب .. وبقدر البساطة شاق .

* * ذلك أن البيان أعجز عن البيان .. وأن اللسان يخذل اللسان .. فسبحانه .. سبحان .. من هو كل يوم فى شأن ..
وكذلك ترى كيف أن السبيل شائك .

* * ولكن إذا كان لابد من المسير .. فى حديث عن العلى الكبير .. فإننى أستعين بصفات الجمال فيه ، وأستعيذ بعفوه وأستهديه .. من كل قصور .. أو خطأ .. لابد أن أقع فيه .. أستعيذ به منه .. لا أحصى ثناء عليه .. وأستعين بنور الجمال فيه .. من متعلقات الجلال فيه ..

* * ولعل نور جماله .. شافع لى ورده لدى كمال جلاله ..

وعذرى – بين يدى رحمته – يعلمه سبحانه ويراه .. فمن يملك كفاءة الكلام عن الله سواه .. هو « اللهُ » .

* * *

* * هذا .. وقد حرصت – أيها الأخ المسلم – أن أضع بين يديك فى هذا الكتاب ملخصًا وافيًا لكل ما أتيح من آراء حول موضوعه الجليل « التوحيد وأسماء الله الحسنى » كما رآها السلف الصالح .. وجوهًا متعددة للموضوع .. ومتشرفًا بالإدلاء بدلوى فيه .

* * لنخرج معًا بأكبر قدر من الأنوار حوله .. وإن كانت أنواره لا تزال تتجدد وتتضاعف مع الزمن جيلا بعد جيل – على يد القادمين من علماء المسلمين – حتى يرث « الله » الأرض ومن عليها .

* * وما كل ما قال السلف .. ثم ما قال وسيقول الخلف .. إلا روافد لنهر الاجتهاد .. نسأل « الله » القبول .. ونقر أولا وأخيرًا .. ودائما .. بعجزنا وقصورنا الكاملين .. مفوضين العلم بمراد « الله » له سبحانه .. فما يعرف حقيقة « الله » عز وجل .. إلا « الله » عز وجل .. هو « الله » .

* * وإذا أردت تتبعًا لسلسلة مَنْ تناول الموضوع من الخلف والسلف .. فإنها تبدأ من أقرب الناس إلى سيد الخلق أجمعين – عليه الصلاة وأزكى السلام – من بيت النبوة ذاته .. ممن قضى « الله » أن يطهرهم من أهل البيت .. من سيدتنا الجليلة أمنا وأم المؤمنين « أم سلمة » – رضى الله

عنها - ثم الصحابة - رضوان الله عليهم - ثم « الأئمة الأربعة » .. و« نعيم بن حماد » شيخ الإمام « البخارى » .. و« سفيان الثورى » .. و« ابن المبارك » .. و« ابن عيينة » .. و« وكيع » شيخ الإمام « مالك » .. و« محمد بن الحسن » ، و« البخارى » .. و« ابن تيمية » .. و« ابن القيم » ، و« البغوى » ، و« الرازى » ، و« الجلالين » ، و« الألوسى » .. وغيرهم من علماء الحديث والتفسير.

* * نسأل « الله » .. المغفرة والقبول وحسن الخاتمة .. إنه سميع مجيب.

* * *

ياسين محمد رشدى

تمّت - بفضل « الله » كتابتُه - بـ « الإسكندرية »
فى رمضان ١٤٠٩ هـ - أبريل ١٩٨٩

إِثْبَاتُ وُجُودِ « اللهِ » عَقْـلاً

الْـوُجُـــودُ :

للأشياء وجود فى الأعيان ، وهو الوجود الأصلى الحقيقى ، ووجود فى الأذهان ، وهو الوجود العلمي الصورى ، ووجود على اللسان وهو الوجود اللفظى الدليلى .

القول باللسان : دليل على ماهو فى الذهن ، وماهو فى الذهن صورة لما فى الوجود الحقيقى مطابقة له .

لو لم يكن وجود فى الأعيان .. لم تنطبع صورة فى الأذهان ، ولو لم تنطبع صورة فى الأذهان .. لم يشعر بها إنسان ، ولو لم يشعر بها إنسان .. لم يُعبَّر عنها باللسان .

اللفظ والعِلْم والمعلوم : ثلاثة أمور متباينة ولكنها متطابقة متوازية ، وكيف لا تكون متباينة وتَلحق كل واحدة منها خواص لا تلحق الأخرى؟!

فالإنسان – من حيث أنه موجود فى الأعيان – يلحقه أنه : نائم ويقظان ، وميت وحىّ ، ومريض وصحيح ، وماشٍ وقاعد .. ومن حيث هو موجود فى الأذهان ــ يلحقه أنه: مبتدأ وخبر ، وعام وخاص ، وجزئى وكلى ، وغير ذلك .. ومن حيث هو موجود فى اللسان ــ يلحقه أنه: عربى أو إنجليزى أو فرنسى .. وكثير الحروف وقليلها وأنه اسم وفعل وحرف وهكذا .. وعليه فإن الاسم غير المسمى وغير التسمية .

فالاسم هو « الله » .. والمسمى – سبحانه – هو الذات العلية .. أما

التسمية : فإما أن الناس أطلقوها وإما أن التسمية تمت منه فوضع الاسم للعباد .. وعلى كل الأحوال فالاسم معلوم من الأزل من حيث هو ومعناه ، وحين ألهم « الله » العباد بالنطق به ، ووُجِدَ اللافظ واللفظ ، حدث الوجود على اللسان بالنطق باسم الذات ، فهو قديم من حيث الوجود العِلْمى ؛ لأنه معلوم للذات العلية من الأزل ، حادث من حيث الوجود اللفظى على ألسنة العباد .

أَقْسَامُ الْمَعْلُومِ :

الوجود اللفظى الدليلى يؤدى بالضرورة إلى الوجود الصورى العِلْمى .. ولفظ « الله » دليل على وجود العلم « بالله » فى الذهن .. وهذا المعلوم الذى يدل عليه اللفظ أقسام :

[١] **المستحيل لذاته** : وهو ما كان عدمه لذاته ، وليس لعلة اقتضت عدمه غير ذاته وحقيقته ، ومثال المستحيل اجتماع النقيضين : ككون الشىء موجودًا معدومًا فى آن واحد .. أى موجودًا غير موجود .. وهو ما يجزم العقل بعدمه ، فالمستحيل لا يوجد قطعًا لا فى الذهن ولا فى الحقيقة .

[٢] **الممكن لذاته** : وهو مالا وجود له ولا عدم من ذاته ، وهو مالا تقتضى ذاته الثبوت ولا الانتفاء ، بل يجوز لها الأمران بحسب العِلَل .. ومثال الممكن جميع الموجودات التى ندركها بحواسنا .. والتى من أحكامها : أنها لا توجد إلا بسبب ولا تنعدم إلا بسبب .. ومن أحكامها أنّها إن وجدت ، أن تكون حادثة .. لأنه ثبت أنها لا توجد إلا بسبب ، ولابد للسبب أن يتقدم وجودها ، وعليه فتكون مسبوقة بالعدم – فى مرتبة وجود السبب – فتكون حادثة ، لأن الحادث هو ما سبق وجوده العدم ، وبالتالى فكل الممكنات حادثات .. ومن أحكامها أيضا أنها كما احتاجت للسبب فى وجودها ابتداء ،

فهى محتاجة لسبب فى بقائها ، فهى فى كل أحوالها محتاجة إلى مرجِّح للوجود من عدمه ، لا فرق بين الابتداء والبقاء .

هذا السبب الذى يرجح الوجود على العدم هو منشأ الإيجاد ، ومعطى الوجود ، وهو الذى يُعبَّر عنه بالموجد وبالعلة الموجِدة أو العلة الفاعلة أو الفاعل الحقيقى .. واستفادة الوجود تقتضى سبق مالكٍ للوجود يعطيه للمستفيد منه .. وأن يكون وجود المستفيد مُستمدًّا من وجود الواهب ، لا يقوم إلا به .. فلا يستقل بنفسه دونه فى حال من الأحوال .

طالما كان كل ممكن محتاجًا إلى سبب يعطيه الوجود ؛ فكل الممكنات الموجودة محتاجة إلى موجد لها خارج عنها .. فلابد أن يكون هو الواجد ؛ إذ ليس هناك بعد الممكنات إلا المستحيل أو الواجب .. والمستحيل منعدم أصلا .. فلا يبقى إلا :

[٣] **واجب الوجود** : وهو ما كان وجوده لذاته من حيث هى ، وهو كذلك لغير علة اقتضت ذلك غير ذاته وحقيقته ، أى إن ذاته إذا تُصوِّرت مجردة من كل اعتبار لم تكن إلا كذلك ، ومثال الواجب الوجود تَصوُّر الذهن : « الزوجية » للأربعة ، و« الفردية » للثلاثة – فى الأعداد – و« الذكورة » للذكر ، و « الأنوثة » للأنثى .. فإنها لا تُتصور غير ذلك .

أَحْكَامُ الْوَاجِبِ :

[١] أن يكون قديما أزليًا .. لأنه لو لم يكن كذلك لكان حادثًا ، والحادث ما سُبق وجوده بالعدم .. فيكون وجوده مسبوقًا بالعدم ، وكل ما سُبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود ، فلو لم يكن الواجب قديما لكان محتاجًا فى وجوده إلى موجود غيره وهذا مستحيل ؛ لأن الواجب هو ما كان وجوده لذاته ؛ ولابد أن يكون هو الموجد للموجودات .

[٢] أن لا يطرأ عليه عدم .. وإلا لزم سلب ماهو للذات عنها فيؤدى إلى سلب الشيء عن نفسه وهو محال .

[٣] أن لايكون مركبًا .. إذ لوكان كذلك لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته – التى هى ذاته – وكل جزء من أجزائه غير ذاته .. فيكون وجود ذاته محتاجًا لوجود غيره ، والواجب ما كان وجوده لذاته .. كما أنه لو كان مركبًا لتوقف الحكم بوجوده على وجود أجزائه .

[٤] أن لايكون قابلا للقسمة .. لأنه لو قبلها لنتج عنها وجودات متعددة ، وهي وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة .. فيكون ذلك قبولاً للعدم أو تَرَكُّبًا ، وكلاهما محال كما سبق .

[٥] أن يكون عالما ، وأن يكون علمه قد سبق المعلوم حتى يأتى المعلوم وفق العلم القديم الأزلى .

[٦] أن يكون قادرًا .. حتى يأتى بالممكنات ، ويملك أسباب بقائها كما يملك أسباب عدمها .

[٧] أن يكون مختارًا (مُريدًا) .. لأن الممكنات وُجدت فى أوقاتها التى وجدت فيها ، وبمقاديرها التى وجدت عليها ، وكان فى الإمكان غير ذلك .. إذًا فهذا التقدير للممكنات تم وفق إرادته الأزلية .

[٨] أن يكون حيًا .. حتى يهب الحياة للمُمكنات .. لأن فاقد الشيء لا يعطيه .. ولابد أن تكون حياته أبدية أزلية لايطرأ عليها موت ، ولا يعتريها عدم ، ولا تنقص بنوم أو غفلة ؛ وإلا نقصت القدرة والاختيار والعلم وذلك مستحيل ؛ لأن الممكنات فى بقائها وحركاتها وسكونها تفتقر إلى وجوده المطلق .

[٩] أن يكون منفردا بالوجود المطلق .. ولا يكون هناك واجب للوجود أو واهب للوجود غيره .. لأنه لو وجد غيره لكان معاونا أو مناوئا .. ولو كان – هذا

الغير- معاونا لانتقص هذا من قدرته ؛ ولأصبح محتاجًا لغيره .. ولو كان - هذا الغير- مناوئا ؛ لفسدت الممكنات لاختلاف الإرادات والاختيارات .

١٠ أن لايكون جوهرًا يتحيَّز .. لأن كل جوهر يتحيَّز فهو يختص بحيِّزه .. ولابد أن يكون فيه ساكنًا أو متحركًا ، والسكون والحركة حادثان .. ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

١١ أن لا يكون جسما (مُؤَلَّفًا من جواهر) .. وإذا بطل كونه جوهرا مخصوصًا بحيِّز بطل كونه جسما ؛ لأن كل جسم مختص بحيِّز ومركب من جواهر ، ولابد أن تكون له هيئة ومقدار .. وهذه من صفات الحدوث .

١٢ أن لا يكون عَرَضًا قائما بجسم أو حالا فى محل..لأن العرض الموجود فى محل لايقوم بنفسه .. ولابد له من جسمٍ يحل فيه .. وكل جسم حادث لامحالة ، ويكون محدثه موجودًا قبله .. فكيف يكون واجب الوجود حالا فى جسم ، وقد كان موجودا من الأزل وحده ؟ ! فلابد أن يكون موجودًا قائما بنفسه .. ليس بجوهر ، ولاجسم ، ولاعَرَض ، ولايحل فى سواه ، وليس فى ذاته سواه .

١٣ أن لايكون مختصًا بجهة .. لأن الجهة إما فوق أو تحت أو يمين أو شمال أو أمام أو خلف ، وهذه الجهات حادثة بحدوث الإنسان منسوبة إليه .. ناشئة من هيئته .. فما فوق رأسه فوق .. وما تحت قدمه تحت ... وهكذا .. ولو لم يُخلق الإنسان بالكيفية التى هو عليها – وكان كالكرة مثلاً – لما كان لهذه الجهات وجود .. إذًا فلا يمكن أن يكون واجب الوجود مختصا بجهة .. فكيف يكون واجب الوجود مُختصًّا بجهة ، والجهة حادثة ؟ ! أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم تكن له ؟

١٤ أنه مامن صفة من صفات الكمال فى خلقه إلا وهو مُتَّصف بها على الوجه الأكمل والأمثل ، إذ لا يعقل أن يكون المخلوق أكمل من الخالق .

مما سبق يتضح أن واجب الوجود : واحد لاشريك له .. فرد لا مِثْل له .. صمد لاضد له .. منفرد لاند له .. قديم لا أول له .. أزلى لابداية له .. مستمر الوجود لا آخر له .. أبدى لانهاية له .. قيوم لا انقطاع له .. دائم لا انصرام له .. وأنه ليس بجسم مصوَّر .. ولا بجوهر محدود مقدَّر .. ولا يماثل الأجسام : لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام .. ولا هو بعَرَض ، ولا تَحُلُّه الأعراض .. ولا يماثل موجودًا ، ولا يماثله موجود .. ولا يحده المقدار .. ولا تحويه الأقطار .. ولا تحيط به الجهات .. وأنه حى لا تأخذه سنة ولا نوم .. ولا يعارضه فناء ولا موت .. قادر : لا يعتريه قصور ولا عجز .. وأنه منفرد بالخلق والاختراع .. متوحِّد بالإيجاد والإبداع .. عالم بجميع المعلومات .. وعلمه قديم أزلى لم يزل موصوفًا به من الأزل .. وليس بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال .. وأنه مريد للكائنات .. مدبر للحادثات .. فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن .. لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر .. ولا فلتة خاطر .. وهو المبدئ المعيد .. الفعال لما يريد .. لاراد لأمره .. ولا معقِّب لقضائه .. وإرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته .

وإذا ثبت كل ذلك ، فلابد للعقل أن يوقن بضرورة وجود اتصال بين واجد الوجود وبين كل مكلَّف موجود حتى يعرفه .. ويعرف المراد منه .. والحكمة أو الغرض من إيجاده .. وهذا الاتصال لكى يتم يجب أن يكون من خلال واسطة حيث يتعذر على الفانى أن يعقل أو يتصل بالباقى .

وهذه الواسطة لابد أن يختارها واجب الوجود بنفسه حتى يؤهلها لكى تعقل عنه .. ولابد أن تكون الواسطة من جنس من يريد إعلامه بوجوده وبأوامره ونواهيه حتى يعى عنه .. ومن هنا يتضح وجوب إرسال **الرُّسُل** وبعثهم .. حتى يُعرف « الله » بالشرع والنقل ، بعد أن قاد إلى وجوده الفكر والعقل .. وهنا

يعمل العقل فى تقرير صدق الرسول الذى يُعْلن عن نبوَّته ، فإن ثبت للعقل صدقه بالدلالات ، أو الاستدلالات ، أو البينات ، أو المعجزات .. وجب الإيمان به ، والاستماع له حتى نعقل عنه ، ووجب التسليم ، وانتهى دور العقل حينئذ .. وقد دَّلنا الرسول ﷺ على صفات « لله » وجب الإيمان بها وهى : [السَّمْعُ والْبَصَرُ والْكَلامُ والاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ] .. بما أُوحِيَ إليه مثل : (لَيسَ كمِثْلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ)[1] .. (وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليمًا)[2] .. (ثمَّ استوى عَلَى العَرْش)[3].

وصفة البصر : هى مابه تنكشف المبصرات ، **وصفة السمع** : هى مابه تنكشف المسموعات .. وأثبتت الآية لله الصفتين بعد نفى المِثْلِ عنه : مما ينفى كذلك مماثلة الصفات . ويجب أن نعتقد أن البصر والسمع بغير جوارح .. وهى من صفات الكمال الواجبة « لله » بدليل قول الله حكاية عن « إبراهيم » : (لِمَ تَعْبُدُ مَا لايسمعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغنى عَنْكَ شَيْئًا)[4] وهو سبحانه لا يعزب عن سمعه مسموع .. ولا يغيب عن رؤيته مرئى .

وصفة الكلام : تعنى أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته ، يتكلم بها بمشيئته وقدرته .. فهو لم يزل ولا يزال متكلما إن شاء .. وما تكلم « الله » به فهو قائم بذاته ، ليس مخلوقا منفصلا عنه .. ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها .. بل هو تابع لمشيئته ، وقدرته ، ولا يشبه كلامه كلام غيره .

وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال .. وإن العرش لا يحمله بل العرش وحملته محمولون بقدرته ، مقهورون فى قبضته .. والاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب .

(١) الشورى : ١١ (٢) النساء : ١٦٤ (٣) الأعراف : ٥٤ (٤) مريم : ٤٢

كما دلّنا (ﷺ) على صفات أخرى جاءت فى سورة « الإخلاص » :
﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[1]

الواحد الحقيقى: ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد .. وما يستلزم أحدهما كالجسمية ، والتحيُّز ، والمشاركة .. وكلمة « أَحَدٌ » دلت على نفى الشريك من كل وجه : فى الذات ، أو فى الصفات ، أو فى الأفعال .. كما دلت على تفرده سبحانه بصفات الجلال والكمال ، ولهذا لا يطلق لفظ « أَحَدٌ » فى الإثبات إلا على « الله » عز وجل .

« **الصَّمَدُ** » : أى المصمود إليه فى الحوائج مِنْ « صَمَدَ » إذا قَصَدَ ، فإنه يستغنى عن غيره مطلقًا ، وكل ما عداه محتاج إليه ، و« الصَّمَدُ » أيضا الذى لا جوف له وهو الذى كَمُلَ فى أنواع الشرف والسؤدد .. أو الدائم .

« **لَمْ يَلِدْ** » : لأنه لم يجانس ، ولم يفتقر إلى من يعينه ، أو يخلف عنه .. ذلك لامتناع الحاجة ، والفناء عليه .

« **ولَم يُولَدْ** »: لأنه لا يفتقر إلى شىء ،ولم يسبقه عدم ، ولم يتفرع من شىء.

« **ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** » : أى لم يوجد أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة وغيرها ، وهو المنفرد بصفات الجلال والكمال والعزة والكبرياء .

وكذلك وصف الله نفسه بأنه « **الْحَىُّ الْقَيُّومُ** » : كلمة « **الحى** » تتضمن جميع صفات الكمال الذاتية .. وكلمة « **القَيُّومُ** » تتضمن جميع صفات الكمال الفعلية .

ولمزيد من التعرف على « الله » من خلال ماورد فى القرآن .. وفى أحاديث سيد الأنام (ﷺ) من أسماء وصفات .. هلمّ بنا نحاول أن نستشرف أنوار المعانى فى « أسماء الله الحسنى » .

---
(١) سورة الإخلاص .

اللَّـــهُ

أصل الكلمة (إلاه) وهى تطلق على كل معبود ، ثم حذفت الهمزة ، وعوض عنها بالألف واللام ، فأصبحت « الله » .

هذا الاسم يختص بالمعبود الحق .. هو « الله » .

هل هو اسم جامد غير مشتق – أم أنه مشتق ؟ أقوال :

[١] هو اسم جامد غير مشتق لأنه ، أولا : لم يُثَنَّ ولم يجمع . ثانيًا : لأنه لو كان مشتقًا لاستلزم وجود مادة يُشتق منها ، واسمه – تعالى – قديم قدم ذاته ، والاشتقاق حادث ، والقديم لا مادة له كسائر الأعلام المحضة التى لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها .. فهو اسم للموجود الحق .. **الجامع لصفات الألوهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيق .**

[٢] هو اسم علم موضوع للذات العلية . علم لذاته المخصوصة الجامعة لصفات الألوهية كلها حتى لا يشذ منها شىء ، **وهو يوصف ولا يوصف به ، فنقول : « الله الرحمن الرحيم » ولا نقول : « الرحمن الرحيم الله »** .. وسائر الأسماء كذلك :

فكل اسم منها منزَّل على آحاد المعانى ، ولأنه لابد له من اسم تُجرى عليه صفاته ولا يصلح له مايطلق على سواه .. **وهو ليس وصفًا ؛ لأنه لو كان وصفًا لم يكن قول: « لا إله إلا الله » توحيدًا ، مثل « لا إله إلا الرحيم » فإنه لايمنع** الشركة

[٣] الصحيح أنه مشتق .. وعلى القول بالاشتقاق فإنه يكون وصفا فى الأصل ولكن غلبت عليه العَلَمِية ، وَغلب عليه – سبحانه – بحيث لا يستعمل فى غيره وصار له كالعَلَم ، واستغنى عن التعريف بغيره ، وعُرِّف غيرُه بالإضافة

إليه ، فيقال « الصبور العليم الجبار من أسماء الله تعالى » ، ولا يقال : « الله من أسماء الرحيم » أو « العليم » وعليه فإن الأسماء **تضاف إليه ولا يضاف هو إلى الأسماء** .

وإن كان الاسم مشتقًا فهو مشتقٌ من أحد الأفعال الآتية :

(ا) **أَلِهَ يأْلَهُ إلاهةً وأُلُوهَةً وأُلوهيَّةً** ... بمعنى عُبِد ... ومنه تألَّهَ واستأْلَهَ .

(ب) **أَلِه إليه بمعنى سَكَنَ إليه** ... لأن القلوب تطمئن بذكره ، والأرواح تسكن إلى معرفته .

(جـ) **أَلَهَ بمعنى تحيَّر**... إذ تتحير فى معرفته العقول والأفهام .

(د) **أَلِهَ بمعنى فزِع** من أمر نزل به – وآلَهَهُ غيره أى : أجاره ... إذ العائذ يفزع إليه ، وهو يجيره حقيقة .

(هـ) **أَلِه الفصيل**[1] : إذا ولع بأمه وتعلق بها ، إذ العباد يُولعون بالتضرع إليه واللجوء إليه فى الشدائد ..

(و) **لاهَ يلِيهُ لَيْهًا ولاهًا** إذا ارتفع واحتجب ... **لأنه محجوب عن إدراك الأبصار** ، ومرتفع عن كل شيء .

هذا الاسم « الله » هو أكبر أسمائه تعالى وأجمعها ، وقيل هو الاسم الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب .. وإذا سُئل به أعطى ، ولذلك لم يُسمَّ به غيره مصداقًا لقوله عز وجل : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [2] فى أحد التفسيرات بمعنى : هل هناك مشابه له فى الاسم ؟ .. فهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى ، فإن كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته ، وإنما استفاد الوجود منه عز وجل .. هو « الله » .

(١) الفصيل : ولد الناقة إذا فُصِل عنها لكى يُفْطَم عن الرضاعة .

(٢) مريم : ٦٥

الرَّحْمَـــنُ الرَّحِيـــمُ

اسمان كريمان من أسمائه الحسنى ، دالَّان على اتصافه – تعالى – بصفة « **الرحمة** » وهى صفة حقيقية له – سبحانه – على ما يليق بجلاله .

« **الرَّحْمَنُ** » : الذى وسعت رحمته كل شىء فى الدنيا ؛ لأن صيغة « **فَعْلان** » تدل على الامتلاء والكثرة .. و« **الرَّحِيمُ** » .. الذى يختص المؤمنين برحمته فى الآخرة .

« **الرَّحْمَنُ** » : دالّ على الصفة القائمة بالذات ؛ و« **الرَّحِيمُ** » : دال على تعلقها بالمرحوم ، ولهذا لم يجئ اسم « **الرحمن** » متعديا فى القرآن .. قال تعالى : (**وكَانَ بالمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**)(١) ولم يقل « رحماناً » ..

و« **الرحمن** » اسم ووصف .. فمن حيث هو صفة : جرى تابعًا على اسم الله فى قوله : (**بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) .. ومن حيث هو اسم : ورد فى القرآن غير تابع بل وَرَدَ ورود الاسم العلم فى قوله تعالى : « **الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** » ..(٢) وفى قوله : (**الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ**)(٣).. وفى قوله : (**قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**)(٤) .

والاسمان **مشتقان من الرحمة ، والرحمة التامة** : **إفاضة** الخير على المحتاجين .. **والرحمة العامة** : هى التى تعم المستحق وغير المستحق .. **ورحمة « الله » تامة عامة .. لأنها من حيث تمامها** : أنه إذا أراد قضاء حاجة المحتاج قضاها .. **ومن حيث أنها عامة** : فقد شملت المستحق وغير المستحق ، وعمت

(١) الأحزاب : ٤٣ (٢) طه : ٥ (٣) الرحمن : ١ ، ٢ (٤) الإسراء : ١١٠

الدنيا والآخرة ، وتناولت الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها .. فهو « **الرَّحِيمُ** » المطلق حقا .

والرحمة فى عرف الإنسان لا تخلو عن رقة مؤلمة تعترى « الرحيم » **فتحركه إلى** قضاء حاجة المرحوم ، فهو يكاد يقصد بفعله دفع التألم عن نفسه .. فيكون قد نظر إلى نفسه وسعى فى غرضها .. والكمال أن ينظر إلى المرحوم لأجل المرحوم نفسه لا لأجل دفع التألم عن نفس الرحيم .. كما أن الرحيم من الناس قد لا يتمكن من إيصال الخير للمحتاج وإن رغب فى ذلك ، أما الكمال **فهو القدرة على دفع حاجة المحتاج فعلا .. و« الرَّحْمَنُ » يفهم منه نوع من الرحمة،هى أبعد من مقدورات العباد؛فهو العطوف على العباد أولا : بالإيجاد .. ثم بالهداية للإيمان ، وأسباب السعادة.. ثم الإسعاد فى الآخرة والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم .**

ولذلك فإن « الرَّحْمن » أخصُّ من « الرحيم » ، قال تعالى : (**الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)[1] وقد قيل : **إن الله رحمٰن الدنيا والآخرة ، ورحيم الآخرة .. والرحمٰن** : لا يُسمَّى به غير الله ، **أما الرحيم** : فقد يطلق على غيره .

وقد قال النبى ﷺ : (**إنَّ اللهَ لما قضى الخلق كَتَب عِندَه فوقَ عَرْشه : إنَّ رَحْمَتِى سَبَقتْ غضبِى**) وكل ما تراه فى الدنيا من آلام ومصائب وأمراض وما إلى ذلك من شرور فهو رحمة وإن خفيت على الناس .. فالخير رحمة ، وهو مراد لذاته ، والشر رحمة ؛ لما فيه من إرادة الخير .. والشر غير مراد لذاته وهذه الأمور من أسرار القضاء والقدر الذى أمرنا أن نؤمن به .. خيره وشره .. حلوه ومره .. سبحان من وسعت رحمته كل شىء .. سبحان الرحمن الرحيم .. هو « اللهُ »

(١) الرحمن ١، ٢ ، ٣ ، ٤ .

الْمَــــلِكُ

الْمَــلِكُ هو الذى يستغنى فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، عن كل موجود .. ويحتاج إليه كل موجود ، ولا يستغنى عنه فى وجوده وبقائه وصفاته ؛ فوجوده منه أو مما هو منه .

وأى مَلِكٍ من الناس لا يستغنى عن كل شىء ــ فإنه فقير إلى الله ، ومحتاج للتأييد من الرعية ، والحفظ والحماية من الأعداء ، والوقاية والعلاج من الأدواء .. ولا يُتصور أن يحتاج إليه كل شىء .. بل قد يحتاجه البعض ولا يحتاجه البعض الآخر ، والمحتاجون هم جزء من رعيته .. وهناك ممالك أخرى لها ملوكها سواء من الإنس أو الجن أو الحيوانات وما إلى ذلك . ثم إن هذا المُلْك زائل لا محالة بأحد شيئين : إما الموت ، وإما استيلاء الغير عليه .

أما « الله » تبارك وتعالى فهو الملك المطلق حيث يستغنى عن كل شىء ، ويحتاجه كل شىء فى كل شىء .. وملكه دائم لا يزول .. وهو المالك للملك لأنه هو الخالق الموجد للملك والملكوت .. فهو يملك الدنيا والآخرة .. ويوم تقوم القيامة تسقط الدعاوَى كلها .. وينادى الرب تبارك وتعالى : (**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**) فلا يجيبه أحد فيقول : (**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**)[1] .. ويقبض السموات والأرض بيمينه ويرجها رجا ويقول : (**أنَا المَلِك .. أَيْنَ مُلُوكُ الأرضِ ؟! أيْنَ الجبَّارون؟! أين المتكبرون ؟!**)[2] .

تعاليت « رب الوجود » ومالكه .. تساميت « ملك الملوك » ، و« مالك كل مالك ومملوك ». تعاليت يا « الله »..تعالى « الله »..هو « الملكُ » هو « اللهُ ».

---

(١) غافر : ١٦ (٢) حديث شريف .

الْقُــدُّوسُ

الاسم مشتق من « القُدْس » بمعنى الطهارة ومنه : « الأرض المقدسة » أى الطاهرة .. والمتصف بهذا الاسم هو المنزه عن النقائص والآفات ، المنعوت بنعوت الكمال ، بل هو منزَّه عن صفات الكمال المتعارف عليها بين البشر ، والقياس على صفات البشر - من نقص وكمال - سوء فهم إن لم يكن سوء أدب

فهو سبحانه **منزَّه عن كل وصف يدركه الحس ، أو يتصوره الخيال ، أو يسبق إليه وهم ، أو يختلج به ضمير ، أو يقضى به تفكير** .. وقصارى ما فعله الناس أن قسموا صفاتهم إلى صفات كمال وصَفات نقص .. فنزهُوه – سبحانه – عن صفات نقصهم،وهو – فى الحقيقة – منزه عن صفات كمالهم وما يماثلها أو يشابهها . وقد قِيل : « **كل ما خَطَرَ بِبَالِكَ فَاللهُ خِلافُ ذَلِكَ** » .. سبحانه .. سبحان القدوس .. هو « اللهُ » .

السَّــــلاَمُ

السَّــلاَمُ هو الذى تَسْلَمُ ذاته عن العيب ، وصفاته عن النقص ، وأفعاله عن الشر ، وكل مافى الوجود من سلامة فهى صادرة منه .. وأفعاله – تعالى – سالمة من الشر المطلق المراد لذاته ؛ إذ مامن شر فى الوجود إلا وضمنه خير أعظم منه.. والسَّلاَمُ المسلِّمُ للمؤمنين من العذاب ، والمسلِّمُ عليهم فى دار القرار.. سبحانه وتعالى .. هو السلام .. هو « الله » .

الْمُؤْمِـــنُ

الْـمُـؤْمِـنُ هو الذي لا يُتَصور أمن أو أمان إلا ويكون مستفادًا من جهته ..

ولا يُتَصور أمن إلا فى محل الخوف ، ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك .. والمؤمن المطلق هو الذى يفيد أسباب الأمن والأمان ، ويسد طرق المخاوف .. والخلق ضعفاء معرَّضُون لأسباب التلف والهلاك : من داخلهم بالأمراض والآفات ، ومن خارجهم بالأعداء والأدواء ، والله تبارك وتعالى هو الذى رزقهم أسباب الأمن من حواس وأدوية وحصون وجوارح وأسلحة وألهمهم استعمالها .. والمحروم من كل ذلك رزقه وسائل الهرب : كالأجنحة للطيور ، والتخفى عن طريق التشكُّل والتلوُّنِ .. وأعظم المخاوف هلاك الآخرة ..

والتحصّن منها يكون بكلمة التوحيد التى هدانا إليها – سبحانه – وهو القائل : **(لا إله إلا الله كلامى ، وأنا هو ، فمن قالها دخل حصنى وأمِنَ عِقابى)**(1) ..

وقد يستفاد أيضًا من الاسم أنه مصدق لأصفيائه بإظهار المعجزات والكرامات الدالة على صدقهم وهو القائل : **(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ)**(2) .. وهو المصدق لنفسه أنه صادق فى وعده حيث قال : **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)**(3) ..

تبارك من أمن له الوجود .. وأمن به الوجود .. تبارك المؤمن .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

---

(1) حديث قدسى (2) المنافقون : 1 (3) آل عمران : 18

الْمُهَيْمِـــنُ

الْـمُهَيْـمِـنُ هو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وحركاتهم وسكناتهم .. وقيامه عليهم باطلاعه وحفظه واستيلائه ، وهو المشرف على كُنْه هذا العالم ، وكل العوالم بما فيها من دقيق وجليل ، الحافظ لها والمسئول عنها بالعناية والرعاية والحفظ ومنع الجور والتعدى المهلك ، أو المستأصل ، أو المتجاوز الحدود .. ولو تأملت فى الوجود ، لوجدت التوازن فى كل شىء .. عَزَّ « المهيمن » وجَلَّ .. سبحانه .. هو « اللهُ » .

الْعَزِيـــزُ

الْـعَـزِيـز من العِزَّة أى القوة والغلبة ، وهو من « الشىء العزيز » أى النادر الذى يصعب وجود مثله ، وهو أيضًا بمعنى الممتنع ، وهو الخطير الذى يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه ، ولابد من اجتماع هذه الأمور الثلاثة حتى يطلق عليه « العزيز » .. والعزيز المطلق هو الممتنع عن الإدراك المرتفع عن أوصاف الممكنات .. الذى جلت مكانته فلا يَزِلّ ، وبَعُدَ عن الأفهام فلا يُدْرَكُ .. واستغنى بذاته ؛ فلا يحتاج لغيره .. المنفرد بالوجود المطلق بغير شبيه ولا مثيل .. فلا « عزيز » على الحقيقة غيره .. والعزيز بحق .. هو « اللهُ » .

الْجَبَّارُ

الْجَبَّارُ هو الذى تنفذ مشيئته – على سبيل الإجبار – فى كل أحد .. ولا تنفذ فيه مشيئة أحد .. وهو الذى لا يخرج أحد عن قبضته .. وتقصر الأيدى دون حمى حضرته ... والجبار المطلق هو « الله » تعالى .. وقيل أنه من الجبر بمعنى الإصلاح من « جبرت الشىء إذا أصلحته» ، و« الجبار » هو الذى يجبر أحوال خلقه أى يصلحهم .. وسبحان من يذعن له الكل ، ويخشع له الكل ، ويصلح ويبرأ به الكل .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْمُتَكَبِّرُ

الْمُتَكَبِّرُ هو الذى يرى الكل حقيرا بالإضافة إلى ذاته ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه ؛ فينظر إلى غيره نظر الملك إلى العبد .. ولا يُتصور ذلك على الإطلاق والكمال إلا « لله » تعالى .. والتكبر والكبرياء إخبار عن استحقاقه – تعالى – لنعوت الجلال وصفات الكمال وهو القائل فى حديثه القدسىّ : (**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي والعظمة إزَارِى ، فمن نَازَعنى فيهما قَصَمتُهُ وَلاَ أُبالى**) .. سبحان من لا عظمة ولا كبرياء إلاّ له .. سبحان المتكبِّر .. هو « اللهُ » .

الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التقدير أولاً ، ثم إلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيًا ، ثم إلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا . فالله هو « **الخالق** » من حيث التقدير .. و« **البارئ** » من حيث الاختراع ، والإخراج من العدم .. و« **المصوِّر** » من حيث ترتيب صور المخترعات على أحسن وجه .

وهذه الصفات صفات أفعال ولا يمكن أن يتصور الإحكام ويتصور حقيقة الأفعال إلا مَنْ يرى صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل .. فإن العالم كله فى حكم جسم واحد مركب من أعضاء متعاونة .. على غرض مطلوب منه .. وأعضاؤه وأجزاؤه السموات والكواكب والأرض وما فيهما وما بينهما .. وكل ذلك مرتب ترتيبا محكما .. وأى خلل فى الترتيب ينهدم معه النظام كله .. وكل ذلك يحتاج إلى التقدير أولا .. ثم الإخراج من العدم ثانيًا .. ثم التصوير أى ترتيب الأجزاء وشكلها وترابطها بعضها ببعض ثالثًا .. وكما أن العالم بأجزائه الكبرى مفتقر لذلك .. فأصغر موجود محتاج لذلك : كالنملة والنحلة بل والذرة فى إحكام الترابط بين نواتها وجُزَيْئَاتِها .. فصور الأشياء وشكلها العام وتركيب أجزائها ، وترابط هذه الأجزاء ، واحتياج الكل إلى البعض ، والبعض إلى البعض .. كل ذلك مشاهد فى الأجرام السماوية ، والمخلوقات الأرضية ، من إنسان وحيوان ونبات ، وأجزاء الأرض وما إلى ذلك .

وإذا تعمقنا قليلا لوجدنا أن العلم عبارة عن صورة المعلوم فى الذهن ، والتعلم انتقال صورة المعلوم من ذهن المُعلم إلى ذهن المتعلم ، وهذا التصوير من فعل المصوِّر الذى رزق الإنسان الذاكرة والمخيِّلة .

وهذه الأسماء والتى ترجع إلى الفعل ، قال قوم : يُوصف « الله » بأنه خالق فى الأزل ، وقال آخرون : بل لا يوصف بذلك قبل الخلق .. فقد كان ولم يكن هناك مخلوقٌ .. والرأى الأصوب - والله أعلم - هو أن الصفة قائمة بالذات العلية من الأزل وهى الصفة التى يصح بها الفعل والخلق .. فهو الخالق من الأزل قبل أن يَخلق .. لأن الصفة قائمة بذاته فلما أراد أن يخلق ، خَلَقَ بهذه الصفة ما شاء ، ويخلق أيضا ما يشاء ، فهو الخالق أزلا وأبدًا .. وقد يسأل سائل : كيف يُسمى خالقًا ، ولم يَخلق بعد ؟!! فنقول : إن الماء قاطع للعطش وهى صفة فى الماء قبل أن تشربه فإذا شربت الماء قطع عطشك فعلا .. إذًا هو فى الإناء قاطع للعطش بالقوة - أى بالصفة الثابتة له - وعند شربك له قاطع للعطش بالفعل ، والسيف قاطع فى غمده بالقوة ، وعند الضرب به يصبح قاطعا بالفعل ، وحبة القمح شجرة بالقوة .. فإذ أُلقيت فى الأرض ونبتت فهى شجرة بالفعل ، و« الله » تبارك وتعالى قبل الخلق هو الخالق وبعد الخلق هو « الخالق » وإلى الأبد هو « الخالق البارئ المصور » .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْغَفَّارُ

أصل « الغَفْر » هو الستر والتغطية ، و« المغفرة » ستر الذنوب والعفو عنها بفضله ورحمته وسابق توبته .. و« الغفار » هو الذى أظهر الجميل وستر القبيح فى الدنيا وتجاوز عن عقوبته فى الآخرة .. و« الغافر » يغفر الذنب .. و« الغفور » من حيث التعدد فى الذنوب التى يغفرها .. و« الغفار » من حيث التكرار فى غفر الذنب الواحد المتكرر .. و« السَّتْرُ » أنواعٌ .. منها :

أولاً : ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه مستورة فى باطنه ،مغطاة فى جمال ظاهره .

ثانيًا : ستره لأفكاره وخواطره المذمومة فى قلبه فلا يطلع عليها أحد .

ثالثًا : ستره على العصاة ، وكان من الممكن أن تظهر آثار الذنوب على الوجه أو البدن .

رابعًا : ستره للذنوب فى الآخرة فلا يطلع عليها أحد .. ويقرر العبدَ المؤمن بذنوبه بينه وبينه .. ويبدل سيئات التائب حسنات ، ويمحوها من صحائفه ، وينسيها أعضاءه والكتبة من الملائكة .. سبحان « الغفار » .. سبحانه وتعالى ..هو « اللهُ » .

الْقَهَّـــارُ

الْقَهَّــارُ هو الذى له الغلبة التامة على كل شىء .. فسبحانه هو القائل : (**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**)[1] فما من موجود إلا وهو تحت قهره .. وهو – سبحانه وتعالى – الذى يقصم ظهور الجبابرة ويُسلط عليهم الذل .. وجميع الموجودات مسخرة تحت قهره وقدرته ، عاجزة فى قبضته وهو سبحانه الذى ينادى يوم القيامة : (**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَومَ للهِ الْوَاحِدِ القَهَّارِ**)[2] . سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْوَهَّـــابُ

اسم « **الـوهَّــاب** » من الْهِبَةِ . وهى العطية الخالية من العِوَض والغرض .. ومن أعطى بغير عِوض ، وبدون غرض يُسمى : « واهبًا » وكلما كثرت الهبات والعطايا وتنوعت وتعددت ، من غير مقابل ومن غير سؤال ، وبغير غرض سُمِّىَ صاحبها : وهَّابًا .. ولا يتَصور الجود والعطاء والهبة وكثرة النعم ودوام العطاء ، وسد كافة الحاجات بغير عِوَض وبدون غرض إلا لله الوهَّاب الحق القائل : (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا**)[3].. سبحانه وتعالى .. هو الوهاب المطلق.. هو « الله » .

---

(١) الأنعام : ١٨ (٢) غافر : ١٦ (٣) النحل : ١٨

الــــرَّزَّاقُ

الـــرَّزَّاقُ هو خالق الأرزاق وأسبابها ، وهو خالق المرتزقة ، وهو خالق أسباب إيصال الرزق ووسائل التمتع به .. فهو الذى يمد الموجودات بكل مايحفظ مادتهم وصورتهم .. وهو الذى يمد العقول بالعلوم ، والقلوب بالفهوم ، والأرواح بالتجليات ، والأجسام بالأغذية المناسبة لها : من طعام ، وشراب ، وهواء ، وكساء ، وما إلى ذلك .. وهو القائل : (**إنَّ اللهَ هُوَ الرزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المتين**)(١) .. وهو القائل : (**وَفِى السَّمَاءِ رزقكُمْ وَمَا تُوعَدُون**)(٢) ..والقائل : (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ إلاَّ على اللهِ رزقُها**)(٣) والقائل : (**لا نَسْأَلُكَ رزقًا نحن نَرْزُقُكَ**)(٤) وصدق رسول الله (ﷺ) حيث يقول:(**لَنْ تَمُوتَ نفسٌ حتى تستوفى رزْقَهَا**) ويقول : (**لَوْ فَرَّ أحدُكُم من الرزق فِرارَه مِنِ الأَسَدِ لأدركَهُ رزقُهُ حتَّى يَدْخُلَ فى فيه**)..ويقول : (**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطيرَ : تَغْدُو خِماصا وتروح بِطَانًا**) .. سبحان الرزَّاق .. سبحانه وتعالى .. هو « **الله** » .

الْفَتَّــــاحُ

الْفتَّــاحُ هو الذى بعنايته يَفتح كل مُغلَق ، وبهدايته ينكشف كل مُشْكِل .. ويفتح على العلماء مغالق المعانى والعلوم .. ويرزقهم دقائق الفهوم .. ويفتح الممالك لأنبيائه ، ويَرفع الحجاب عن قلوب أوليائه .. وبيده مفاتح الغيب ، ويفتح خزائن رحمته على مخلوقاته ، قال تعالى : (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا**

(١) الذاريات : ٥٨ (٢) الذاريات : ٢٢ (٣) هود : ٦ (٤) طه : ١٣٢

مُبِينًا) [1] .. (ما يَفْتَح اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَها) [2] .. (رَبَّنا افْتَحْ بَيْننا وبَيْنَ قَومِنَا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيرُ الفَاتِحِينَ) [3] .. سبحانه وتعالى .. سبحان الفتَّاح .. هو « الله » .

الْعَلِيـــمُ

الْعَـلِيـمُ هو المحيط علما بكل شيء .. ظاهره وباطنه .. دقيقه وجليله .. أوله وآخره .. فاتحته وعاقبته .. ولا يمكن تصوُّر مدى هذا العلم من حيث الوضوح والكشف .

والعلم صفة قديمة قائمة بالذات .. وهى من الصفات الذاتية .. وهو تعالى عالم من الأزل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته ما كان منها وماهو كائن إلى الأبد .. وعلمه يُباين علم خلقه من وجوه :

١ – كثرة المعلومات .   ٢ – مطابقة العلم للمعلوم مطابقة كاملة تامة .

٣ – علمه غير مستفاد من الأشياء بل الأشياء مستفادة من علمه .

٤ – علمه لا يزيد بالإضافة ولا ينقص بالنسيان .

وشرف العلوم بحسب شرف المعلوم .. وأشرف المعلومات على الإطلاق هو « الله » تعالى .. ولذلك كانت معرفة « الله » – تعالى – أفضل المعارف .. والعلم به أشرف العلوم .. وهو العالم بنفسه وبذاته وصفاته من الأزل .. وعلمه – سبحانه – من الصفات الذاتية له : كصفة الإرادة التى تعلقت فى القدم بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى ..سبحانه وتعالى هو « العليم » بحق .. هو « اللهُ »

---

(١) الفتح : ١   (٢) فاطر : ٢   (٣) الأعراف : ٨٩

الْقَابِضُ الْبَاسِطُ

« **الْقَبْض** » قد يعنى الأخذ ، ويعنى المسك ، و« **البسط** » يعنى العطاء ويعنى الإطلاق ويعنى التوسعة .. من هنا قال العلماء : يقبض الأرواح عن الأجساد عند المهات .. ويبسطها فى الأجساد عند الحياة .. ويقبض الصدقات من الأغنياء ويبسط الرزق للضعفاء .. ويقبض القلوب تارة ويبسطها تارة بالخوف والرجاء .. ويقبض شر الظالمين عن عباده المستضعفين إن شاء .. والمعنى أشمل من ذلك كله بدليل ماجاء فى القرآن عن القبض مثل : (**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ**)(١) أى أخذت ملء قبضة اليد .. (**ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا**)(٢) ، عن قَبْض الظل بمعنى تقليله .. (**واللهُ يَقْبِضُ وَيَبسُطُ**)(٣) كناية عن ضيق العيش وسعته .. (**ويَقْبِضُونَ أَيْدِيهِمْ**)(٤) كناية عن البخل .. (**صَافَّاتٍ ويَقْبِضْنَ**)(٥) عن الطير فى بسط أجنحتها وضمها .. (**والأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**)(٦) كناية عن أنها فى حوزته ، وتحت سيطرته كالشىء المقبوض عليه باليد الواحدة .. (**فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**)(٧) أى مُسَلَّمةٌ ليد الدائن .. وماجاء فى القرآن عن البسط مثل : (**وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**)(٨) فى النهى عن الإسراف .. (**فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطهُ فى السَّمَاءِ كَيفَ يَشَاءُ**)(٩) .. أى يوزعه وينشره .. (**بَلْ يَدَاه مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**)(١٠) ..كناية عن كثرة العطاء ..(**إِذْ هَمَّ قَومٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيكُمْ أَيْدِيَهُمْ**)(١١) .. (**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنى**)(١٢) كناية عن إرادة الأذى .. (**وَزَادَهُ بَسْطَةً فى الْعلمِ والْجِسْمِ**)(١٣) ..

(١) طه : ٩٦ (٢) الفرقان : ٤٦ (٣) البقرة : ٢٤٥ (٤) التوبة : ٦٧ (٥) الملك : ١٩
(٦) الزمر : ٦٧ (٧) البقرة : ٢٨٣ (٨) الإسراء : ٢٩ (٩) الروم : ٤٨ (١٠) المائدة : ٦٤
(١١) المائدة : ١١ (١٢) المائدة : ٢٨ (١٣) البقرة : ٢٤٧

(وَزَادَكُمْ فِى الخَلْقِ بَسْطَةً)(١) كناية عن التوسعة .. (جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ بِسَاطًا)(٢) أى سهلة ممهّدة ..

والمقابلة بين الاسمين : (القَابض) و(الباسِط) تدل على اجتماع الأضداد .. وهذا لا يمكن تصوّره إلا لله عز وجل .. إذ القابض الباسط بحق..هو « الله » .

الْخَـــافِضُ الرَّافِـــعُ

خفض به : هبط به ..ورفع الشيء : أعلاه . قال تعالى : (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)(٣) تخفض الكفار وترفع المؤمنين . قال : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)(٤) كناية عن العطف والحنان وقال : (واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)(٥) كناية عن الرحمة ولين الجانب .. وقال : (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُم الطُّورَ)(٦) .. (وإِذْ يَرْفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِن البَيْتِ)(٧) .. (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)(٨) .. (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)(٩) .. (والسَّقْفِ المَرْفُوعِ)(١٠) .. (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات)(١١) .من ذلك يتضح أن الخفض . وأن الرفع يكون حِسيًّا ماديًّا .. ويكون أيضًا معنويًّا : كالمكانة والشرف والسمعة والمجد ..وقد قيل فى معنى الاسمين :

يخفض الكفار بالإشقاء ويرفع المؤمنين بالإسعاد . ويرفع أولياءه بالتقريب ، ويخفض أعداءه بالإبعاد . ويرفع من يشاء بإنعامه . ويخفض من يشاء عن رتبته بانتقامه .. الخافض لأعدائه بالذل . والرافع لأوليائه بالنصر .. ويرفع الحق ويخفض الباطل .. والاسمان من أسمائه تعالى وهما من صفات الأفعال التى تتعلق بمشيئته وقدرته .. والخافض على الحقيقة .. والرافع على الحقيقة .. هو « الله » .

---

(١) الأعراف : ٦٩ (٢) نوح : ١٩ (٣) الواقعة : ٣ (٤) الإسراء : ٢٤
(٥) الحجر : ٨٨ (٦) النساء : ١٥٤ (٧) البقرة : ١٢٧ (٨) الشرح : ٤
(٩) الزخرف : ٣٢ (١٠) الطور : ٥ (١١) المجادلة : ١١

الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ

هو الذى يُؤتى الملك من يشاء ويسلبه مِمَّنْ يشاء ، قال تعالى : (**وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ**)(١) ، وهو المعِزُّ لمن أطاعه .. المذل لمن عصاه .. وهو المانح للعزة : (**ولله الْعِزَّةُ وَلرسُولِهِ وَللْمُؤْمِنِينَ**)(٢) ومَنْ أعزه « الله » فهو العزيز : (**وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا له مِنْ مُكْرِمٍ**)(٣) ..

ومادة الكلمة (عَزَّ يُعِزُّ) تفيد الغلبة والقوة والقهر والتأييد .. وقوله تعالى : (**فَعَزَّزْنا بِثَالِثٍ**)(٤) أى أيّدنا وقوّينا .. والعزة المحمودة : عزة « الله » .. وهناك عزة مذمومة كادِّعَاء الذليل الفاسق الذى حكى عنه القرآن فى قوله تعالى : (**وَإِذَا قِيلَ لَه اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإِثْمِ**)(٥) وهو اعتزاز بالباطل .. والأَعَزُّ : اسم تفضيل ، قال تعالى : (**لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ**)(٦) .. (**أَرَهْطِي أعزُّ عَلَيْكُمْ مِن اللهِ**)(٧) .. وهناك ذل محمود كما جاء فى قوله تعالى : (**أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ على الكَافِرِينَ**)(٨) وهو ذُلٌّ عن غير قهر ، بل طواعية واختيارا تواضعا « لله » عز وجل .. وهناك التذليل وهو التطويع كما جاء فى قوله تعالى : (**جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ ذَلُولاً**)(٩) .. (**فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّك ذُلُلاً**)(١٠) .. (**وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ومِنْهَا يأْكُلُونَ**)(١١) .. (**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً**)(١٢) .. (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِن الرَّحْمَةِ**)(١٣) .. وهناك ذل مذموم وهو الهوان

---

(١) آل عمران : ٢٦ (٢) المنافقون : ٨ (٣) الحج : ١٨ (٤) يس : ١٤
(٥) البقرة : ٢٠٦ (٦) المنافقون : ٨ (٧) هود : ٩٢ (٨) المائدة : ٥٤
(٩) الملك : ١٥ (١٠) النحل : ٦٩ (١١) يس : ٧٢ (١٢) الإنسان : ١٤
(١٣) الإسراء : ٢٤

عن قهر وغلبة كما جاء فى القرآن حكاية عن الكفار : (**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى** [1]) .. وأذلَّهُ : قهره ، وأخضعه ، وأهانه .. كما قال عزَّ وجَلَّ عن الكفار : (**أُولَئِكَ فِى الْأَذَلِّين**)[2]

وهذان الاسمان من « صفات الأفعال » ، ويُلاحَظ أن الصفات الفعلية متضادة لبيان لانهائية القدرة ، وبيان عدم وجوب الفعل عليه ، فهو يملك الفعل وضده : فهو يحيى ويميت ، ويضر وينفع ، ويخفض ويرفع ، ويعز ويذل ويقبض ويبسط ، ويبدئ ويُعيد ، وله تعالى أن يفعل بعباده مايشاء ؛ فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده - كما قال بعض الناس - ولا يُعقل فى حقه الوجوب لأن الفعل الواجب هو الذى فى تركه ضرر عاجل أو آجل ، وهذا محال على « الله » ؛ لأنه هو الموجب والآمر والناهى ، وله أن يكلف عباده مايشاء ، ويحكم عليهم بما يريد ، دون جرم سابق أو ثواب لاحق .. فهو المتصرف فى ملكه دون منازع .. ومن حكم فيما ملك فما ظلم .. وكل حادث فى العالم فهو من فعله وخلقه واختراعه .. خلق الخلق وأعمالهم ، وخلق قدراتهم وحركاتهم وسكناتهم .. وكل فعل لمخلوق فهو مخلوق له ومتعلق بقدرته وهو القائل سبحانه : (**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شىء**)[3] .. والقائل : (**واللهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعْمَلُونَ**)[4] .. وكل حادث فى الكون من حركة وسكون ، ووجود وعدم ، بعلمه وإرادته بل من خلقه وإيجاده ، وفعله .. وجميع أفعاله تعالى لاتخلو من الحكمة وإن خفيت ..

سبحانه وتعالى .. هو « المعزُّ المذلُّ » .. هو « اللهُ » .

---

(١) طه : ١٣٤ (٢) المجادلة : ٢٠ (٣) الزمر : ٦٢ (٤) الصافات : ٩٦

السَّمِيــعُ الْبَصِيــرُ

صفتان من صفات الذات العلية .. وكما أن ذاته – تعالى – لا تشبه ذوات الخلق فكذلك صفاته لا تشبه صفات الخلق .. وقد تكلم بعض الناس فى الصفة والموصوف فقالوا : إن الصفة هى الموصوف ، وقال آخرون : الصفة غير الموصوف ، وقال فريق ثالث : الصفة ليست الموصوف وليست غير الموصوف .. وكل ذلك الكلام لا يصح ؛ فإنه إعمال للعقل فى مالا يجب للعقل أن يَعمل فيه .. فإن كيفية اتصاف « الله » بصفاته مماهو وراء العقل ، بل كنه الصفات نفسها مما وراء العقل وكان السلف (رضى الله عنهم) يأخذون فى الصفات الإلهية بمعانى الألفاظ فى اللغة مع تنزيهه – سبحانه وتعالى – عن مشابهة شىء من خلقه ، فكما أن ذاته ليست كغيرها من الذوات ، فكذلك صفاته وأفعاله ليست كصفات وأفعال غيره .. ولا يذهبون إلى ما وراء ذلك من لوازم ظاهر اللفظ : كالتشبيه والتحديد المأخوذ من إطلاقه فى الأصل على المخلوق .. فإن التنزيه يقتضى جعل المشاركة فى اللفظ اسمية فقط وأن نصف « الله » تعالى بما وصف به نفسه بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل مع تفويض العلم بحقيقة الأوصاف « لله » تعالى – فنقول : إن « الله » – جل جلاله – عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ، مريد بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر .. دون إعمال العقل فى كيفيَّة ذلك .

و« **السميعُ** » هو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع ، وإن خفى .. لا يفوت سمعه شىء ، ولا يشغله نداء عن نداء ، يسمع هواجس الضمير ، وتستوى فى

كمال سمعه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللغات ، وهو منزّه عن أن يكون سمعه بأداة أو جارحة ، بل هو صفة يتكشف بها كمال صفات المسموعات .

و « **الْبَصِيرُ** » هو الذى يشاهد ويرى ، ولايخفى عليه ماتحت الثرى .. يرى خفايا الوهم والتفكير .. ولاتحجب رؤيته الظلمات والأستار .. ورؤيته – سبحانه وتعالى – منزَّهة عن أن تكون بجارحة كجوارح المخلوقات .. بل يرى بصفة يتكشف بها كمال التفريق بين المُبْصَرات .. لا تفوته فلتة خاطر ، ولا لفتة ناظر ، ولا يغيب عن رؤيته موجود ظاهرا كان أو باطنًا ، خفيًّا كان أو جليًّا .

سبحانه وتعالى .. يقول لموسى : (**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**)[1] .. ويقول سبحانه : (**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**)[2] .. ويقول : (**لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**)[3] .. ويقول : (**أَمْ يَحسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**)[4] .. ويقول : (**قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**)[5] .. ويقول : (**إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**)[6] .. سبحانه .. سبحانه وتعالى.. هو « اللهُ » .

الْحَكَمُ

الْحَكَم هو من يفصل بين المتنازعين ، كما جاء فى قوله تعالى : (**فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا**)[7] .. وقوله :(**أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا**)[8] ..و« حَكَمَ » بمعنى : قَضَى وفَصَل فى الأمر ، كما جاء فى قوله تعالى : (**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**)[9] .. وفى شأنه وعن

---

(١) طه : ٤٦ (٢) المجادلة : ١ (٣) آل عمران : ١٨١ (٤) الزخرف : ٨٠
(٥) الشعراء : ١٥ (٦) الحج : ٧٥ (٧) النساء : ٣٥ (٨) الأنعام : ١١٤
(٩) النساء : ٥٨

نفسه –تعالى– يقول : (**إنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَايُرِيدُ**)(١) أى ينفذ حكمه وفق إرادته ، ويقول تعالى : (**واصبرْ حتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خيْرُ الحَاكِمينَ**)(٢) ويقول تعالى : (**وأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**)(٣) .

وأحكم الأمر : أتقنه ، قال تعالى : (**ثُمَّ يُحكم اللهُ آياتِه**)(٤) .. وقال عن القرآن : (**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ**)(٥) .

والحَكَمُ هو الحاكم ، من : « تحاكم المتخاصمان » أى رفعا أمرهما إلى الحاكم .. كما فى قوله تعالى : (**يُرِيدُون أنْ يَتحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**)(٦) ..

والْحُكْمُ أيضًا الحكمة والرشاد ، والعلم والسلطان ، والمُلْك والقضاء ، والفصل بين الناس ، كما جاء فى قوله تعالى : (**وَكُلاًّ آتَينَا حُكْمًا وعِلمًا**)(٧) .. (**وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** (٨)) .

والحاكم الذى لا راد لقضائه ، ولا معقِّب لحكمه ، هو « الله » القائل : (**إن الْحُكْمُ إلاَّ للهِ**)(٩) .. وهو الحكم بين عباده ، الفاصل بين الحق والباطل ، المنصف للمظلوم من الظالم ، المميز بين البر والفاجر ، المجازى كل نفس بما عملت .. لا يقع فى وعده ريب ، ولا فى فعله عيب .. حكم على القلوب بالرضا والقناعة ، وعلى النفوس بالانقياد والطاعة .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

---

(١) المائدة : ١ (٢) يونس : ١٠٩ (٣) هود : ٤٥ (٤) الحج : ٥٢
(٥) آل عمران : ٧ (٦) النساء : ٦٠ (٧) الأنبياء : ٧٩ (٨) الأنبياء : ٧٨
(٩) الأنعام : ٥٧

الْعَـــدْلُ

الْعَـــدْلُ هو « العادل » المنزَّه عن الظلم والجور فى أفعاله وأحكامه ، الذى يعطى كل ذى حق حقه ، ويضع كل شىء فى موضعه ، ولا يصدر منه إلا العدل ، ومن أحكامه فى حق العباد قوله سبحانه : (**وأنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلاَّ مَاسَعَى وأنَّ سَعْيَهُ سَوفَ يُرَى**) (١) وكذلك قوله تعالى : (**إنَّ الأبرَارَ لَفِى نعيمٍ وإنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ**) (٢) و« الْعَدْلُ » أيضا هو الذى رتب الأسباب ووجهها إلى المسببات ، ولا يُعرف عدل « الله » مالم يُعرف فعله .. وفعله فى ملكه وملكوته – من حيث الظاهر – يرى المتأمِّلُ فيه أن كل شىء وُضع فى موضعه ، وأن المسبَّبات رُتِّبت على الأسباب أحسن ترتيب ، وأن ما خَفِى من أحكام العدل – سبحانه – أكثر بكثير مما يظهر ، والعبد فى هذه الدنيا يتقلب بين العدل والفضل .. فإن أصابته ضراء فبعدل الله ، قال عز وجل : (**ومَارَبُّكَ بَظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**) (٣) .. (**ومَاالله يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**) (٤) .. وإن أصابته سراء فبفضل « الله » ، قال تعالى : (**ماأصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ ومَاأصَابَكَ مِنْ سَيئةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**) (٥) .. وقال : (**والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**) (٦) .. (**وكَان فَضْلُ الله عَلَيْك عَظِما**) (٧) وهو سبحانه الذى حبَّب الإيمان للمؤمنين وزيَّنه فى قلوبهم حيث قال : (**ولكنَّ الله حَبَّبَ إليكُم الإيمانَ وزيَّنه فى قُلُوبِكم وكرَّه إليكُم الكفرَ والفسوقَ والعصيان أولئك همُ الراشدون فضلاً مِن اللهِ ونعمة**) (٨) .

---

(١) النجم : ٣٩ ، ٤٠ (٢) الانفطار : ١٣ ، ١٤ (٣) فصلت : ٤٦ (٤) غافر : ٣١
(٥) النساء : ٧٩ (٦) البقرة : ١٠٥ (٧) النساء : ١١٣ (٨) الحجرات : ٧ ، ٨

وهو سبحانه الذى امتنَّ عليهم بقوله : ﴿ **لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنينَ إذْ بَعَثَ فيهم رَسُولاً من أَنفُسِهِم** ﴾ (١) وقال سبحانه فى شأن الكفار : ﴿ **وَمَاظَلَمَهُم اللهُ ولَكِن كَانُوا أنفُسَهُم يَظْلِمُونَ** ﴾ (٢) .

وقد كان الله والكون عدم .. ومَنْ حكم فى ملكه فما ظلم .. والعدل المطلق .. هو « الله » .

اللَّطِيــــفُ

اللَّطِيــف هو العالم بخفيّات الأمور وحقائقها ، والخبير ببواطن الأشياء .. والذى امتنع إدراكه بالأبصار ، وتنزَّه عن المكان فلا يتحيَّز فى الجهات والأقطار ، وتعالى عن الحد ؛ فلا تصل إلى كُنه ذاته العقول والأفكار .. ومع ذلكُ هو أقرب إلى الأشياء من ذواتها ، وهو الذى يُسرع بكشف الغُمّة عند نزول النقمة .. وهو مصور الأشياء فى قوالب أضدادها .. الذى يعلم دقائق المصالح وغوامضها ، ومادق منها ومالطف .. ثم يسلك فى إيصالها إلى المستحق سبيل الرفق دون العنف .. وإذا اجتمع الرفق فى الفعل ، واللطف فى العلم ، تم معنى « اللطف » .. ودقائق لطفه بخلقه لا يحصيها العدُّ .. يقول تعالى : ﴿ **اللهُ لَطِيفٌ بعبَادِهِ** ﴾ (٣) .. ﴿ **إنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ** ﴾ (٤) .. وانظر إلى تغذية الجنين فى بطن أمه ، ثم إلهامه التقام الثدى بمجرد الولادة ، وتأخير بروز الأسنان إلى مابعد سن الرضاع ، وتقسيم الأسنان إلى قواطع وأنياب وضروس ، وكيف يُستخدم اللسان كالمجرفة ، وفى نفس الوقت يستخدم للنطق ، ومن لطفه بعباده أنه كلفهم دون الطاقة ، وأعطاهم فوق الكفاية ، وأخرج الدرَّ من الصدف ، والعسل من

---

(١) آل عمران : ١٦٤ (٢) النحل : ٣٣ (٣) الشورى : ١٩ (٤) يوسف : ١٠٠

النحل ، والحرير من الدود ، والإنسان من النطفة ، وكيف أوصل الرزق للإنسان دون مشقة ، وهيأ له سبل الاستفادة بموادّه النافعة ، والتخلص من مواده الضارة دون تدخل من الإنسان .. ولطفُه بخَلْقه يفوق الحصر ..
سبحانه وتعالى .. هو « اللطيف » .. هو « اللهُ ».

الْخَبِيــــرُ

الْخَبِيــرُ هو الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا تعزب عنه حركة .. ويعلم بواطن الأشياء كما يعلم ظواهرها سواء بسواء .. والعلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمى خبرة وسُمى صاحبها « خبيرًا » يقول الله تعالى : (**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**)[1] .. ويقول : (**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**)[2] .. (**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ**)[3] .

والخبر : النبأ الذى يفيد بِهِ المتكلم واقعة معينة ثابتة : (**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**)[4] ، وقال تعالى : (**قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ**)[5] .. وقال تعالى : (**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)[6] ..
سبحانه .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

(١) الأنعام : ١٨ (٢) الفرقان : ٥٩ (٣) النمل : ٧ (٤) الكهف : ٦٨
(٥) التوبة : ٩٤ (٦) الملك : ١٤

الْحَلِيمُ

« الْحِلْمُ » : الأناة ، وضبط النفس من حَلَمَ يَحْلُمُ فهو حليمٌ ، والحليم هو الذى لايسارع بالمؤاخذة ولا يُعجِّل بالعقوبة ، يتجاوز عن الزلاَّت ، ويعفو عن السيئات ، يمهل العاصى حتى يتوب .. لا يستخفه عصيان عاص ، ولا يستفزه طغيان طاغ .. يسامح الجانى مع استحقاقه العقوبة والمؤاخذة بالذنب .. يشاهد معصية العاصى .. ويرى مخالفة أمره ، ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام - مع غاية الاقتدار - عجلةٌ وطيشٌ .

قال تعالى : (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**) (١) وهو القائل سبحانه وتعالى : (**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ**) (٢)

سبحان من حَلُمَ وستر وغفر .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْعَظِيمُ

لفظ **العظيم** : فى الأصل يطلق على الأجسام ذات العظام ، مشتق من العَظْمِ ، وما كبر عَظْمُه عن غيره فهو أعظم ، فالناقة مثلاً أعظم من الشاة .. ثم أُطْلِق اللفظ على كل جسم كالجبل والبحر مما يحيط به البصر ولو لم يكن له عظم .. فإذا كان الشىء كبيرًا بحيث لا يحيط به البصر ، فهو أعظم من الشىء الذى يحيط به البصر ، والسماء أعظم من الأرض ، والأرض أعظم من

---

(١) البقرة : ٢٣٥ (٢) فاطر : ٤٥

الجبل .. والسماء لا يحيط بها البصر ولكن قد يدرك العقل لها أبعادًا .. أما ما كان أكبر من كل شيء ، ولا يحيط به البصر ، ولا يدرك العقل كنهه فهو الأعظم .. و« الله » تبارك وتعالى لا يحيط به البصر ولا يتصوره عقل .. فهو العظيم حقًّا الذى قصرت العقول والفهوم عن إدراك حقيقته .. بل جاوز حدود العقل فهو البالغ أقصى مراتب العظمة .. ذو العلو والمجد .. المستغنى عن الأعوان .. المتقدس عن الزمان والمكان .. الذى ليس لعظمته بداية ولا لِكُنْهِ جلاله نهاية ..
سبحان « الله » العظيم .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْغَفُــــورُ

« الْغَفْــرُ » : الستر كما جاء فى شرح الاسم « الغفار » .. و« غَفَرَ الذنب » أى ستره وعفا عنه ولم يعاقب عليه .. و« الغافر » اسم فاعل .. و« غفور » و« غفار » صيغتان للمبالغة ،وكلها من الأسماء الحسنى قال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴾ [١] وقال : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢] وقال : ﴿ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [٣] .. و« الغفار » مبالغة فى المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة المرة بعد المرة أى باعتبار الكم ، أما « الغفور » : فصيغة تدل على الكمال والشمول والتمام ، أى باعتبار الكيف لذا قال سبحانه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤] صدق الله العظيم .. هو الغفور .. هو « الله » .

---

(١) غافر : ٣ (٢) يونس : ١٠٧ (٣) الزمر : ٥ (٤) الحجر : ٤٩

الشَّكُــــورُ

الشَّكُــورُ هو الذى يُعطى الجزيل على العمل القليل ، ويجازى على يسير الطاعات كثير الدرجات ، ويعطى بالعمل المحدود نعيمًا غير محدود ، وهو الذى يوفق عباده لأداء شكر نعمته .. و« الشكور » كذلك من الشُّكْر الذى هو الثناء على المحسن .. وربنا – تبارك وتعالى – قد أثنى على عباده فى محكم كتابه فى مواضع كثيرة مثل قوله تعالى : (**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّه أَوَّابٌ**)(١) .. (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**)(٢) .. (**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات ...**)(٣) .. (**أُولَئِكَ هُم الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**)(٤) .. فالشكر يكون بالثناء ، والشكر يكون بالمجازاة .. فإذا كان الثناء من شخص له مكانته كان للثناء قيمته .. وكلما كانت المجازاة كبيرة كان المجازى كبيرا .. فإذا كان « الله » – تبارك وتعالى – قد أثنى على أعمال عباده ، فقد أثنى على فعل نفسه لأن أفعالهم من خلقه ، وإذا كان هو المجازى على الأفعال الحسنة بأحسن منها ، فلا تُتصور مجازاة أكبر من ذلك ، فإذا كان الشكر بمعنى الثناء وبمعنى المجازاة ؛ فالشكور الحق .. والشكور المطلق .. هو « اللهُ » .

---

(١) ص : ٣٠ (٢) هود : ٧٥ (٣) الأحزاب : ٣٥ (٤) الأنفال : ٤

الْعَلِــــىُّ

الْعَلِــى هو البالغ فى علو الرتبة مالانهاية .. فما من شىء إلا وهو منحط عنه .. المتعالى عن الأنداد والأضداد ، الرفيع المنزلة ، المستعلى فوق خلقه بقدرته وجبروته ، وهو الذى علا فلا تُدرك ذاته ولا تُتصور صفاته .. والاسم مشتق من العلو المقابل للسُّفْل ، وذلك يكون فى الدرجات المحسوسة ، والأجسام الموضوعة فوق بعض ، ويكون فى الرتب المعقولة كذلك .. وكل ماله الفوقية فى المكان ، فله العلو المكانى ، وكل ماله الفوقية فى الرتبة والدرجات العقلية ، فله العلو فى المنزلة والمكانة .. وهذا العلو يكون بالإضافة فيقال: هذا أعلى من هذا سواء فى المكان أو فى المكانة .. وعلو الرتبة أنواع : فالإنسان أعلى رتبة من الحيوان ، والحى أعلى رتبة من الميت ، والأولياء أعلى رتبة من العوام ، والملائكة أعلى رتبة من الناس ، والصانع أعلى رتبة من المصنوع .. فإذا نظرت إلى صفات « الله » – سبحانه وتعالى – حيث هو الخالق الأزلى بلا بداية ، والأبدى بلا نهاية ، والذى كان ولم يكن شىء غيره ؛ علمت أنه العلى المطلق ..
سبحانه وتعالى علوا كبيرا .. هو « الله » .

الْكَبِيـــرُ

الْكَبِيـــرُ هو « الكبير » فى كل شىء ؛ لأنه أزلى وغنى على الإطلاق ، وهو « الكبير » عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول .. و« الكبير » هو ذو الكبرياء ، والكبرياء كمال الذات ، وكمال الذات يعنى كمال الوجود ، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين :

أولهما : دوامه أزلاً وأبدًا .. حيث أن كل وجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص ليس بكامل ، وقد تعارف الناس على إطلاق كلمة (كبير) على الإنسان الذى طالت مدة بقائه فى الدنيا .. فإذا كان من طالت مدة وجوده فى الدنيا يقال له كبير – مع كونه محدودًا ببداية ونهاية – فالموجود الأزلى الأبدى أَوْلى بأن يكون كبيرًا .

ثانيهما : وجوده هو الوجود الذى يصدر عنه وجود كل موجود .. والذى حصل منه كل وجود هو الموجد الأزلى .. الكبير المطلق .. هو « اللهُ » .

الْحَفِيـــظُ

الْحَفِيـــظ هو العالم بجميع المعلومات علما لا تغيير له ولازوال ، المحيط بما فى السموات والأرض ، يحفظ وجودهما ، ولا يئوده حفظهما ، وهو الذى يحفظ جميع خلقه ويحفظ العناصر المتكون منها الخلق ، ومنها ما هو متنافر متضاد .. والحفظ يكون :

أولاً : بإدامة وجود الموجودات وإبقائها ، وعدم فنائها أو إعدامها .. و« اللهُ » هو الحافظ للموجودات التى يطول أمد وجودها كالسماء والأرض والتى لا يطول أمد وجودها كالإنسان والحيوان .

ثانيًا : صيانة الموجودات عن التنافر والتعادى والإبقاء على التعادل بينها .

فالتعادل ظاهر بين الحرارة والبرودة ، وبين الرطوبة واليبوسة فى الأجسام المركبة من هذه الأصول المتنافرة سواء فى الإنسان أو الحيوان أو النبات .. فمثلاً لابد للإنسان من حرارة غريزية .. لو بطلت ، بطلت معها الحياة .. ولابد له من رطوبة تكون غذاءً لبدنه كالدم ومايجرى مجراه .. ولابد له من يبوسة تتماسك بها أعضاؤه كالعظام والمفاصل .. ولابد له من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل .. وقد جَمَعَ « الله » بين هذه المتضادات المتنازعات فى جسم الإنسان والحيوان .. ولولا حفظه إياها لتنافرت وتباعدت وقضى بعضها على بعض .. فَتُبخِّر الحرارة مثلاً الرطوبة ، وتَقْضى البرودة على الحرارة .. والحفظ يجعل المتضادات فى قوة واحدة فتتقاوم ، ويحدث التعادل ، ويبقى قوام الإنسان بتعادلها .. أو يكون الحفظ بإمداد المغلوب منها ، فيشعر الإنسان بالعطش ،

والحاجة إلى الماء البارد مثلاً أو يشعر بالبرد والحاجة إلى الدفء فيستدفئ بالنار أو بالثياب الثقيلة .. وهكذا خلق « الله » تبارك وتعالى الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها ، والأدوية وسائر الأشياء المتضادة حتى إذا غلب شيء تم مقاومته بغيره ، فيعتدل المزاج .. وهذا التعبير حقيقي لأن الإنسان مزاج وخليط من المتنافرات .. والحفظ أيضا يكون بتعليم الإنسان وسائل استخدام هذه الإمدادات التي خلقها تبارك وتعالى للحفظ والصيانة .

وقد يكون الهلاك آتيًا من أسباب خارجة كالأعداء فما من مخلوق إلا وله عدو .. فأعطى « الله » – تبارك وتعالى – كل مخلوق أسباب حفظه من الهلاك الخارجي بالحواس أو الجوارح أو الأسلحة أو أسباب التخفي أو حتى وسائل الهرب .. وما ينطبق على الإنسان والحيوان ينطبق على النبات والجماد ، حتى الذرات كذلك .. ووسائل حفظ الحفيظ لا يحصيها إلا الحفيظ .. القائل جل وعلا : ﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ** ﴾ (١) سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْمُقِيتُ

الْمُقِيت هو خالق الأقوات : بدنية وروحانية ، وموصلها للأبدان والقلوب ، وهي الأطعمة والأشربة والمعارف والعلوم .. والقوت ما يُكتفى به في قوام البدن .. ويكون أيضًا بمعنى المستولي على الشيء القادر عليه المسئول عنه بالقدرة والعلم من قوله سبحانه : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا** ﴾ (٢) أي قادرًا مُطّلِعًا .. فيكون الاسم من حيث الرزق أخص من الرّزاق ؛ لأن « الرازق » يرزق القوت وغيره .. ومن حيث القدرة والعلم فهو أعم من القادر والعالم ؛ لأنه يشمل

---

(١) هود : ٥٧ (٢) النساء : ٨٥

القدرة مع العلم .. وكلمة « أقات الشيء » أى أمده بقوته الذى يحفظ عليه حياته ، ومن يفعل ذلك يكون مقتدرًا على الشيء لأنه يملك حياته .. ومنه « أقات عليه » أى قَدَرَ عليه وسيطر عليه وحَفِظَه وحفظ عليه حياته .. والفاعل لكل ذلك مع كل موجود هو « الله » .. « المقيت » المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الحَسِيبُ

حَسَبَ الشيء : عدَّه وأحصاه حِسابًا وحُسبانًا ، كقوله تعالى : (**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**)[1] أى بحساب .. حاسبه حسابا : أحصى عليه أعماله ليجزيه بقدرها كقوله تعالى : (**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**)[2] وقوله : (**وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**)[3] لأن الخلق كلهم يحاسبون فى وقت واحد ، ولايقدر على ذلك إلا « الله » ، الذى لا يشغله شأن عن شأن .

والحسبان : العذاب المحسوب المقدَّر ، كقوله تعالى : (**ويُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ**)[4] .. و« احتسب الأمر » : ظنَّه وقدَّره ، كقوله تعالى : (**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**)[5] .. وحَسْبُه الله : كافيه ومغنيه وحده عن سواه ، وكفيل به وحده ، كقوله تعالى : (**فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ**)[6] .. والحسيب المحاسب والكافى والكفيل ، كقوله تعالى : (**وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا**)[7] وقوله : (**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَومَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**)[8] .. والحسيب أيضا من « الحَسَب » وهو السؤدد والشرف الكامل .. والحَسْب هو الاكتفاء .. و« الحسيب » هو المعطى لعباده كفايتهم .. وهذا وصف لا يُتَصور حقيقته لغير

---

(١) الرحمن : ٥ — (٢) الانشقاق : ٨ — (٣) الأنعام : ٦٢ — (٤) الكهف : ٤٠
(٥) الطلاق : ٣ — (٦) التوبة : ١٢٩ — (٧) النساء : ٦ — (٨) الإسراء : ١٤

« الله » ، فما من موجود إلا ويحتاج للكفاية لوجوده ، ولدوام هذا الوجود ، ولبقائه ولكمال وجوده .. و« الله » وحده هو الكافى لكل شىء ، فبه وحده يتحصل وجود الأشياء وبقاؤها وكمالها .. وإذا كانت الأسباب كافية كلبن الأم للرضيع ، والطعام للبالغ ، والهواء للمتنفس ، والمال للغنى ، وما إلى ذلك ، فالخالق لكل ذلك هو « اللهُ » .

وهو وحده « الْحَسْبُ » لكل شىء ، فالأشياء تتعلق بعضها ببعض ، وكلها تتعلق بقدرة « الله » وإيجاده وتدبيره ، فهو « الحسيب » المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْجَلِيــــلُ

الْجَلِيــــل الكامل فى الصفات ، و « الكبير » : الكامل فى الذات ، و« العظيم » : الكامل فيهما .. و« الجليل » هو الذى عظم شأنه ، وظهر أمره ، فلا يوازيه غيره ، ولا يدانيه أحد : فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال .. وهو الموصوف بصفات الجلال كالقدرة والعلم والتقدس وما إلى ذلك .

و« الجامع » لكل ذلك هو « الجليل » المطلق .. لأن كل ما فى الوجود من جمال وكمال وبهاء وحُسْن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته .. فكيف يكون خالق كل ذلك ؟ ! !

من هنا كان النظر إلى وجهه تعالى يوم القيامة أكبر وأعظم من نعيم الجنة وما فيها.

– والفعل جَلَّ يَجلُّ جلالاً وجلالة ، كما فى قوله تعالى : (**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الجَلاَلِ والإِكْرَامِ**)[1] .. وصاحب العظمة الكاملة .. والجلال المطلق .. هو الجليل سبحانه .. هو « الله » .

(١) الرحمن : ٧٨

الْكَرِيمُ

الْكَرِيمُ هو الذى إذا قدر عفا .. وإذا وعد وفى ، وإذا سُئل أَعطى وكفى .. لا يُضيِّعُ من أقبل عليه ، ولا يترك من التجأ إليه ، ولا تتخطاه الآمال .. وهو المعطى بغير سؤال .. لايبالى كم أعطى ، ولا لمن أعطى .. وإن سُئل غيره لا يرضى .. و« الأكرم » اسم تفضيل ، قال تعالى : (**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**)(١) .. وهو صاحب الإنعام والجود والإحسان ، الذى يُكرم خلْقه بفيض نعمه ، ويكرم أولياءه بفيض فضله ، كقوله عن أحد عباده : (**يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**)(٢) ..ومَنْ حُرِم من كرم الله فلا مُكرم له على الإطلاق ، قال تعالى : (**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ**)(٣) .. والله تعالى هو الكريم أزلا وأبدا ، قال تعالى : (**كُلُّ مَنْ عليها فانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالْإِكْرَامِ**)(٤) .. و« الكريم » المطلق هو « الله » .

الرَّقِيبُ

رقَبَه يرقُبه : حفظه ورعاه .. و« رقبه » : انتظره فهو رقيب .. كما قال تعالى : (**وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**)(٥) .. والرقيب الذى يراقب الأشياء ويلاحظها .. فلا تفوته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر .. ولا يغيب عنه مثقال ذرة مهما كانت فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض .. وهو فى هذه المراقبة لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، ولا غفلة ، بل الملاحظة لازمة دائمة .. ولا يتأتى هذا إلا للرقيب المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

---

(١) العلق : ٣ (٢) يس : ٢٦ ، ٢٧ (٣) الحج : ١٨ (٤) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ (٥) هود : ٩٣

الْمُجِيبُ

الْمُجِيبُ هو الذى يجيب الداعى إذا دعاه .. وهو سبحانه القائل : (**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**)[1] .. فيسعف السائل بمقتضى فضله .. فيعطيه مراده أو ما هو أفضل وأصلح له حالا أو مآلا .. أو يصرف عنه من الشر ما يوازيه .. وهو الذى يجيب المضطرين ، ويغيث المستغيثين ، ويُصرخ المستصرخين .. وهو القائل سبحانه : (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**)[2] .. هو وحده - تعالى - يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم ، وقد علمها من الأزل ، فدبر أسبابها وقدر كيفية وصولها .. وهو المنعم قبل النداء ، والمتفضل قبل الدعاء .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْوَاسِعُ

الْوَاسِعُ هو « المحيط » بكل شيء علما .. و« الجَواد » الذى عمت رحمته كل مؤمن وكافر .. ووسعت رحمته كل شيء .. و« الغنى الكامل » الذى لا نهاية لغناه ، ولا تنضب خزائنه .. وهو ما لا نهاية لبرهانه ، ولا حدود لسلطانه .. ولا يحُاط بذاته ، ولا أسمائه ولا صفاته .. و« الواسع » مشتق من السعة ، والسعة تضاف إلى العلم وتضاف إلى الإحسان ، فيقال : واسع العلم ، وواسع الإحسان والعطاء .. والواسع المطلق هو « الله » لأنه إذا نظرت إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته ، قال تعالى : (**قُل لَوْكَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ**

(١) غافر : ٦٠ (٢) النمل : ٦٢

تَنْفدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) [١] ..وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ) [٢] .. وإن نظرت إلى إحسانه وإنعامه فلانهاية لعطائه .

وكل سعة وإن عظمت .. لابد وتنتهى إلى طرف ، والذى لا يتناهى إلى طرف هو « الواسع » المطلق هو « الله » .. قال تعالى : (إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [٣] ..وقال تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) [٤] .. وقال تعالى : (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ) [٥] ..وقال تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ والأَرْضَ) [٦] .. لا نهاية لسلطانه .. ولا حد لإحسانه .. وسع بعلمه جميع المعلومات .. وبقدرته جميع المقدورات .. فهو واسع الرحمة والغنى والسلطان والعلم والقدرة والإحسان .. سبحانه وتعالى ..هو « الله » .

الْحَكِيـــمُ

الْحَكِيـــمُ هو ذو الحِكْمَةِ .. والحكمة : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم .. والحكمة حسن التدبير ، وإتقان العمل ، ووضع كل شىء فى موضعه .. و« الله » – تبارك وتعالى – يعلم أجلَّ الأشياء بأجلِّ العلوم ، فعلمه أزلى دائم .. لا يُتصوَّر زوالهُ .. ولا يَتطرق إليه خفاء ولا شبهة .. وهو عالم بذاته وأسمائه وصفاته .. يعلم أجلَّ الأشياء بأجلِّ العلوم ؛ فهو « الحكيم » المطلق .. وأما حُسْنُ التدبير ، وإتقان العمل ، ووضع الشىء موضعه – فلا يمكن أن يكون ذلك إلا « لله » القائل عن نفسه : (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَه) [٧] .. والقائل : (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ

---

(١) الكهف : ١٠٩ (٢) لقمان : ٢٧ (٣) البقرة : ١١٥ (٤) النجم : ٣٢
(٥) الأعراف : ١٥٦ (٦) البقرة : ٢٥٥ (٧) السجدة : ٧

كُلَّ شَيْءٍ)[1] .. والقائل : (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[2] .. والقائل : (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[3] .. سبحانه وتعالى .. الحكيم المطلق .. هو « اللهُ » .

الْـــوَدُودُ

« الــودود » : كثير الود صيغة مبالغة من : ودَّه يَوَدُّه وُدًّا : أى أحبه .. ووادَّه موادّة ووِدادًا : أحبه وقبل منه محبته ، أى بادله الحب والود .. قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)[4] .. أى محبة منه تعالى ومحبة فى قلوب خلقه .. وقال تعالى : (لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ولَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)[5] .. وقال تعالى: (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ)[6] أى كثير الود لعباده ، المتحبب إلى الطائعين بمعرفته ، وإلى المذنبين بمغفرته ، وإلى الخلق برزقه وكفايته .. المحب للمؤمنين والمحبوب لهم .. الراضى عن أهل طاعته والمادح لهم بأعمالهم .. المودِّدهم إلى خلقه .

و« الودود » : قريب من معنى الرحمة ، ولكن الرحمة إضافة الخير للمرحوم .. وأفعال « الرحيم » تستدعى مرحومًا ضعيفًا محتاجًا .. وأفعال الودود لا تستدعى ذلك ، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود ، قال تعالى : (فَسَوفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[7] فهو – سبحانه – يحبهم أولا ثم يرزقهم محبته .. **وإذا أحبَّ « اللهُ » عبدا نادى « جبريل » : يا جبريل ، إنى أحبُّ فلانا فأحبَّه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى الملأ الأعلى : يا أيها الملأ ، إن**

---

(١) النمل : ٨٨ (٢) المؤمنون : ١٤ (٣) طه : ٥٠ (٤) مريم : ٩٦
(٥) المجادلة : ٢٢ (٦) البروج : ١٤ (٧) المائدة : ٥٤

« الله » يحبُّ فلانًا فأحبّوه ، فيحبّه الملأ الأعلى ، ثم يُوضَع له القبول فى الأرض ، قال تعالى : (**إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**)[1] .. سبحان الودود .. عظيم الجود .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْمَجِيــــدُ

الْمَجِيــد هو الذى انفرد بالشرف الكامل ، والملك الواسع من الأزل إلى الأبد .. البالغ الكمال فى المجد والشرف .. عظيم القدر .. الشريف ذاته ، الجميل فعاله ، الجزيل عطاؤه ونواله .. وشرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمى : مجدًا ، والمجد « للهِ » من الأزل إلى الأبد ، وهو المجيد المطلق ، قال تعالى : (**إِنَّهُ حَمِيدٌ مجيدٌ**)[2] .. وقال : (**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**)[3] ووصف كلامه فقال : (**قٓ والْقُرْآنِ المجيدِ**)[4] لأنه عظيم النفع والخير ، ولأنه كما قال عنه : (**فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مطَهَّرَةٍ**)[5] .. تبارك « المجيد » المطلق .. هو « الله » .

الْبَاعِـــثُ

يُقال بعثه : أى أرسله ، كقوله تعالى : (**فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِنْهُ**)[6] .. وقوله : (**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ**)[7] فهو سبحانه يبعث الرسل بالأحكام كقوله تعالى : (**فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**)[8] .

---

(١) هود : ٩٠ (٢) هود : ٧٣ (٣) البروج : ١٥ (٤) قٓ : ١
(٥) عبس : ١٣ ، ١٤ (٦) الكهف : ١٩ (٧) يونس : ٧٤ (٨) البقرة : ٢١٣

وتأتى « بعث » بمعنى أيقظ من النوم .. كقوله عز من قائل : (**وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى**)[1] أى يبعث النيام فيوقظهم .. وقال – سبحانه – فى أهل الكهف : (**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثوا أَمَدًا**)[2] ..

ويبعث الله الموتى أى يخرجهم من قبورهم .. قال تعالى : (**وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُم اللهُ ثُمَّ إِلَيهِ يُرْجَعُونَ**)[3] أى يحييهم يوم القيامة .. وقال : (**يَوْمَ يَبْعَثُهُم اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَىْءٍ**)[4] .. وقال : (**ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ**)[5] وقال الموتى بعد البعث كما حكى عنهم القرآن : (**مَن بَعَثَنَا مِن مَرْقَدِنَا**)[6] .. وهو الذى يحيى الخلق يوم النشور .. ويحصّل ما فى الصدور .. ويبعث من فى القبور .

وهو الذى يبعث الهمم للترقى فى ساحات التوحيد .

وهو الذى بعث الموجودات من ظلمة العدم إلى نور الوجود .

والبعث هو « النشأة الآخرة » أما الخلق فهو « النشأة الأولى » .. لأنه سبحانه يقول : (**ونُنْشِئَكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُونَ**)[7] .. (**وَلَقَدْ عَلِمتُم النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ**)[8] .

ولا يمكن إدراك معنى الباعث إلاّ إذا علمنا « النشأة الآخرة » ، وهذا محال قبل حصوله .. وعلى ذلك فلا يعلم حقيقة « الباعث » إلاّ الباعث .. ودرك العجز عن الإدراك إدراك .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

* * *

---

(١) الأنعام : ٦٠ (٢) الكهف : ١٢ (٣) الأنعام : ٣٦ (٤) المجادلة : ١٨
(٥) البقرة : ٥٦ (٦) يس : ٥٢ (٧) الواقعة : ٦١ (٨) الواقعة : ٦٢

الشَّـــهِيدُ

شَهِدَه يشهده شهودًا وشهادة : حضره وعلم به .. قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(1) .. و« شَهِدَ » : أى دل بقول أو فعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾(2) .. و« شَهِدَ بالله » أى أقسم به ، يقول تعالى : ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهم أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ باللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(3) .. والشهادة : خبر قاطع ، كقوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ ﴾(4) ، وكقوله : ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾(5) ، وكقوله : ﴿ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾(6) ، وكقوله : ﴿ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِم أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(7) .. و« أشهاد » : جمع شهيد .. وشهود : جمع شاهد .. والشهيد أيضًا مَنْ قُتِل فى سبيل « الله » وشَهِدَتْهُ الملائكة أو شَهِدَتْ له .. و« الشهيد » صيغة مبالغة فى الشاهد ، كقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيد ﴾(8) ، وكقوله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾(9) ، أى مع المقرِّين بوحدانية « الله » تبارك وتعالى .. و« أشهده » على الأمر ، كما فى قوله سبحانه : ﴿ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبكُم قالوا بَلَى شَهِدْنا ﴾(10) ، وقوله : ﴿ وأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُم ﴾(11) .. و« أشهده » : جعله يحضر ويشاهد ، يقول تعالى : ﴿ ما أَشْهَدتهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾(12) .. ومشهود : اسم مفعول كقوله : ﴿ وَذلكَ يَومٌ مَشْهُودٌ ﴾(13) أى حضره الخلق

---

(1) البقرة : ١٨٥ (2) يوسف : ٢٦ (3) النور : ٦ (4) الأحقاف : ١٠
(5) البروج : ٧ (6) يونس : ٦١ (7) هود : ١٨ (8) البقرة : ٢٨٢
(9) آل عمران : ٥٣ (10) الأعراف : ١٧٢ (11) البقرة : ٢٨٢ (12) الكهف : ٥١
(13) هود : ١٠٣

وشاهدوا أهواله وحضرته الملائكة ، وكقوله : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (١) أى تشهده الملائكة وتسجل ثوابه .. و« مشهد » : اسم مكان واسم زمان ومصدر ميمى ، كقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .. واستشهده : طلب شهادته كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ (٣) .

و« الشهيد » من الشهود ومعناه الحضور أى العالم بكل شىء ، المشاهد لكل شىء ، الحاضر الذى لا يغيب عنه شىء فى ملكه ، وهو القائل سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤) وهو سبحانه وتعالى يشهد على خلقه ويفصل بينهم بعدله ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٥) .. و« الله » هو العليم ، وهو الخبير ، وهو الشهيد ، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد ، ولذا فإنه - سبحانه وتعالى - يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم ، وهو القائل جَلَّ وعَلا : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٦) .. سبحانه وتعالى .. هو « اللّه » .

الْحَــقُّ

الْحَــقُّ هـو الواقع الثابت الـذى لا خـلاف عليـه ، و « الحــقُّ » ضــد الباطل .. و« حَقَّ » الأمرُ : ثبت ووجب .. وحق له : ثبت له .. وحُقَّ له : أُثبت له .. قال تعالى : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (٧) أى كان حقًّا عليها أن تخضع لأمر الله ... وأحق الأمرَ : أثبته وأظهره .. والحق ما وجب لك أو عليك ..

(١) الإسراء : ٧٨ (٢) مريم : ٣٧ (٣) البقرة : ٢٨٢ (٤) فصلت : ٥٣
(٥) الأنعام : ١٩ (٦) المجادلة : ٦ (٧) الانشقاق : ٢

وحقيق على كذا : حريص عليه وأمين وجدير ، كما جاء فى قوله تعالى : (**حَقِيقٌ عَلَى أَلاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ**)(١) .. و« الحاقّة » : اسم فاعل مؤنث أى الثابتة الصحيحة أو التى تبين الحق وتظهره ، يقول تعالى : (**الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ**)(٢) .. واستحق الشيء : استوجبه وصار من حقه ، كما فى قوله سبحانه : (**فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا**)(٣) .. والحق : القرآن ، والحق : العدل والصدق والحكمة والبعث وكمال الأمر ، يقول الحق جل وعلا : (**فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ**)(٤) ..ويقول : (**وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والْأَرْض بِالْحَقِّ**)(٥) .. ويقول : (**وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِن الْحَقِّ**)(٦) .. ويقول : (**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ**)(٧) ..ويقول : (**أُولَئِكَ هُم الْمؤمِنُونَ حَقًّا**)(٨) ..ويقول : (**قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا**)(٩) أى صادقة بالنسبة لرؤيا « يوسف » الصديق .. والأشياء تتميز بأضدادها ، وكل أمر يُخبر عنه إما أن يكون باطلاً مطلقاً ، أو حقًّا مطلقًا ، أو باطلاً من وجه ، حقًّا من وجه .

فالباطل مطلقًا هو الممتنع بذاته .. والحق مطلقًا هو الواجب بذاته ، يقول تعالى : (**ذَلِكَ بِأَن الله هُوَ الحَقُّ وأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هو الباطِلُ**)(١٠) .. والممكن بذاته الواجب بغيره باطل من وجه ، وحق من وجه ، فهو – من حيث ذاته – لا وجود له فهو باطل ، وهو – من جهة واجب الوجود الذى أوجده – موجود فهو حق ، أى من جهة نفسه باطل ، ومن جهة « الله » الذى أوجده فهو حق ، ولذلك يقول « الحق » : (**كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** »(١١) .. وهو سبحانه الموجود الحق أزلاً وأبدًا ، وكل شيء سواه – من حيث ذاته – لا

---

(١) الأعراف : ١٠٥ (٢) الحاقة : ١ ، ٢ (٣) المائدة : ١٠٧ (٤) المؤمنون : ٤١
(٥) الأنعام : ٧٣ (٦) المائدة : ٨٤ (٧) الأنعام : ٥ (٨) الأنفال : ٤
(٩) يوسف : ١٠٠ (١٠) الحج : ٦٢ (١١) القصص : ٨٨

يستحق الوجود ؛ إذًا فالحق المطلق : هو الموجود الحقيقي بذاته الذى منه يأخذ كل حق حقيقته .. ونعرف بأن أحق الموجودات بأن يكون حقا هو « الله » الحق . وأحق العلوم بأن يكون حقا هو العلم بالله ؛ لأنه مطابق للمعلوم أزلا وأبدا .. وأما العلم بغيره : فإنه لا يكون دائما إلا بقدر دوام ذلك الغير ، فإذا انعدم عاد ذلك الاعتقاد وذلك العلم باطلا .. وقد يطلق الحق على الأقوال فيقال : قول حق ، أو قول باطل . وعلى ذلك فأحق الأقوال قول : « لا إله إلا الله » لأنه قول صادق أبدا ، وأزلا لذاته ، وإذًا يطلق الحق على الوجود فى الأعيان ، وعلى الوجود فى الأذهان وهو المعرفة ، وعلى الوجود الذى فى اللسان وهو النطق .. فأحق الأشياء بأن يكون حقا هو الذى يكون وجوده ثابتا لذاته أزلا وأبدا ، ومعرفته حقا أزلا وأبدا ، والشهادة له حقا أزلا وأبدا .. هو الحقُّ المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْوَكِيــلُ

الْوَكِيــلُ هو المتولى بإحسانه أمور عباده المتقين ، الموكَّلُ إليه كل أمر .. الكفيل بالخلق .. فمن توكل عليه تولاه ، ومن استغنى به أغناه ، ومن فوض إليه أمره كفاه .. والموكول إليه : ينقسم إلى من وُكِلَ إليه بعضُ الأمور – وهذا ناقص – ومن وُكِلَ إليه كلُّ الأمور ، وليس ذلك إلا « لله » .

والموكول إليه قد لا يستحق أن يكون وكيلا إلا بتفويض ، وهذا فقير إلى التوكيل ، مفتقر إلى التفويض .. أما من يستحق بذاته أن يكون كل أمر إليه موكول فهو الله ؛ تتوكل عليه القلوب لذاته .. و« الوكيل » قد يفى بما يوكل إليه إلى حد ما ، و« الله » – تبارك وتعالى – هو الذى من توكل عليه كفاه ، يفى بما وُكِل إليه وفاء تاما من غير قصور ، وهو يتولى الخلائق .. وهو نعم الوكيل ، قال تعالى : (**الَّذِينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ**

إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِن اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ)[1] .. وهو وكيل من لا وكيل له ، قال تعالى : (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ)[2] .. (وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبلَنَا)[3] .. وقال : (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المتَوَكِّلِينَ)[4] .. وقال : (قُل لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيل)[5].

الوكيل هو الناصر المعين والحافظ الأمين .. مِن : وكَّله بكذا : عهد إليه القيام به ، قال تعالى : (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَومًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ)[6] .. وقال : (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الموْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ)[7] .. وقال : (إِنْ كُنتُم آمَنْتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)[8] .

والتوكل الحقيقى هو تسليم الأمر لمن له الأمر .. والرضا بالنتائج وإن جاءت على غير الهوى .. فالوكيل الحق .. والوكيل بحق .. هو « اللهُ » .

الْقَــوِىُّ

الْقَــوِىُّ هو الذى لايلحقه ضعف فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله .. والقوة : تدل على القدرة التامة .. فمن هو بالغ القدرة : قوى ..

قوى الشخص : صار قادرًا على عمل كثير من الأعمال .. وقوى الشىء : تماسكت أجزاؤه ، قال تعالى : (كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)[9] .. وقد تطلق القوة على المعانى الحسية كالعقل والعزيمة والإرادة ، كقوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْف قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)[10] .

(١) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ (٢) الأنعام : ١٠٢ (٣) إبراهيم : ١٢ (٤) آل عمران : ١٥٩
(٥) الأنعام : ٦٦ (٦) الأنعام : ٨٩ (٧) السجدة : ١١ (٨) يونس : ٨٤
(٩) النحل : ٩٢ (١٠) الروم : ٥٤

والقوة بمعنى الجدّ فى الأمر ، وصدق العزيمة ، كقوله تعالى : (**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**)[1] .. ووُصِف « جبريل » بالقوة فى قوله تعالى : (**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ**)[2] .. وجمْعُ قوة : قُوى ، ومنه قوله تعالى : (**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى**)[3] قال المفسرون : الجمع للمبالغة فى شدة القوى ، وقد يكون المراد بالجمع ، تنوع القوى ، فهى قوة متعددة لا يعلمها إلا « اللّه » .. ووصفت ابنة « شعيب » « موسى » كما حكى القرآن : (**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الأَمِينُ**)[4] ، ووصف بها « العفريت » نفسه « لسليمان » كما حكى القرآن : (**وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ**)[5] ووصف « اللّه » – تبارك وتعالى – نفسه بالقوة ، فقال : (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ**)[6] .. وقال : (**إِنَّ اللّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ**)[7] .

ولو نظرت إلى القُوَى المخلوقة فى الكون مثل الجاذبية والكهربية والتفاعلات الكيمائية وقوة الغازات والإشعاعات كالليزر وماإلى ذلك ؛ لعلمت أن خالق هذه القُوى المتعددة لا تُدْرَك قوتُه ، ولا تُعرف كُنْه مكانته .. سبحانه وتعالى .. هو القوى المطلق .. هو « اللّه »

الْمَتِــــين

الْمَتِــين مِن مَتَنَ يمْتُن متانة فهو متين بمعنى صلب وقوى واشتد .. و«المتين» هو الذى له كمال القوة ، فلا يعترض أفعاله عارض ، ولا يمنع أمره مانع .. والمتانة تدل على شدة القوة .. ومن هو شديد القوة : متين .. ووصف ربنا نفسه ، فقال :

---

(١) البقرة : ٦٣ (٢) التكوير : ١٩ ، ٢٠ (٣) النجم : ٥ (٤) القصص : ٢٦
(٥) النمل : ٣٩ (٦) هود : ٦٦ (٧) الحج : ٤٠

(إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[1] .. وتوعد الكفار بقوله : (وَأُمْلِي لَهُمْ إنَّ كَيْدِي مَتِين)[2] .. ومتانة الكيد : عدم اكتشافه ونفاذه بحيث لا يوقفه عارض .. والمتين هو القادر قدرة تامة .. الشديد القوة .. ولا يعرف المتين إلا المتين .. سبحانه وتعالى .. والمتين المطلق .. هو « اللهُ » .

الْوَلِـــيُّ

الولـيُّ هو المحب الناصر المتولى أمر خلقه ، المختصين بإحسانه ، يقول تعالى : (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)[3] .. (وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)[4] .. (ذَلِكَ بِأَنَّ اَللهَ مَوْلى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَولى لَهُمْ)[5] .. (وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)[6] .

والفعل وليه يليَهُ ولاية أى نصره وقام بأمره .. وأيضا ولى بمعنى قرُب ، كقوله تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ منَ الكُفَّارِ)[7] ، والولاية جاءت فى قوله : (هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ للهِ الْحَقِّ)[8] وذلك يوم القيامة :(وَالظَّالِمُونَ مَالَهُم مِنْ وَلِيٍّ ولا نصير)[9] .. (وَإذا أَرَادَ اَللهُ بِقَومٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ من دُونِهِ مِن وَالٍ)[10] .. (إنَّ وَلِـيِّـيَ اللهُ الَّذى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)[11] .. (فاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحيِ المَوْتَى وَهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ)[12] .. سبحانه وتعالى .. هو الوليُّ الحق .. هو « اللهُ » .

* * *

---

(١) الذاريات : ٥٨ (٢) الأعراف : ١٨٣ (٣) البقرة : ٢٥٧ (٤) الجاثية : ١٩
(٥) محمد : ١١ (٦) الشورى : ٢٨ (٧) التوبة : ١٢٣ (٨) الكهف : ٤٤
(٩) الشورى : ٨ (١٠) الرعد : ١١ (١١) الأعراف : ١٩٦ (١٢) الشورى : ٩

الْحَمِيدُ

الْحَمِيدُ هو المحمود على كل حال .. المستحق الحمد .. الحميد بحمده نفسه أزلا ، وبحمد عباده له أبدا ، فهو الحميد المطلق .. والحميد من صفات الذات لأنه الموصوف بصفات الكمال .. والفعل حَمِدَه يحمَدُه حمداً : أثنى عليه بالجميل .. وحمد الشيء : رضي عنه وارتاح إليه .. واسم الفاعل : حامد ، قال تعالى : (**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ**)(١) .. واسم المفعول : محمود ، قال تعالى : (**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**)(٢) .. وقال « الله » مثنيا على نفسه : (**الْحَمْدُ للهِ**)(٣) .. وقال آمرا : (**قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**)(٤) .. وافتتح « الله » الخلق بالحمد .. فقال : (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**)(٥) .. وختم الدنيا بالحمد .. فقال : (**وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)(٦) .. وهى قول المؤمنين عند البعث : (**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ**)(٧) .. وعند رؤية الجنة : (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ**)(٨) .. وعند دخول الجنة : (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**)(٩) .. وعند النجاة من النار : (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**)(١٠) .. وهى كلمة تملأ ما بين السماء والأرض ، وقال بعضهم : « إنها أَجَلُّ من كلمةِ التوحيد لأنها تجمع التوحيد والحمدَ » .. والحقيقة إن أجل كلمة هى كلمة التوحيد ..

---

(١) التوبة : ١١٢ (٢) الإسراء : ٧٩ (٣) الفاتحة : ٢ (٤) النمل : ٥٩
(٥) الأنعام : ١ (٦) الزمر : ٧٥ (٧) الإسراء : ٥٢ (٨) الأعراف : ٤٣
(٩) الزمر : ٧٤ (١٠) فاطر : ٣٤

والحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى ، أما المدح فهو الثناء على الجميل مطلقا .. وحقيقة الحمد الذى يستحقه الحميد ، لا يعلمه إلا الحميد ، الذى حمد نفسه بنفسه .. وقال النبى ﷺ : « **لا أُحْصِى ثَنَاءً عَليكَ أَنْتَ كَما أثنيتَ على نَفْسِكَ** » ، وحين قال رجل : « **الحمدُ للهِ كما ينبغى لجلاَلِ وجهِهِ وعظيمِ سُلْطَانِه** » ، **صعدت الملائكة تسأل ربها** : « **ماذا تكتب له ؟!** » ، **فقال** : « **اكتبوها له كما قالها حتى يلقانى فأوفيه إياها** » .. سبحانه هو « الحميد » .. وهو كما أثنى على نفسه من الأزل .. فهو الحميد أزلا وأبدا .. وهو الحميد المطلق .. هو « الله » .

الْمُحْصِى

أَحْصَى الشَّىء : عدَّه وحَفِظَه .. وأصل الكلمة : « العَدُّ بالحَصَى » ، فكانت العرب تَعُدُّ بالحصى .. والإحصاء : العدّ على سبيل الحصر ، ومنه قوله تعالى : (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا**)[1] ، وقوله : (**وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ**)[2] ، وقوله : (**وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ**)[3] .. وقوله : (**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**)[4] ، وقوله : (**وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا**)[5] .. وقوله : (**لقد أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا**)[6] .. والمحصى : المحيط بكل موجود جملة وتفصيلا .. لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، بالظواهر بصير ، وبالبواطن خبير ، وهو الذى أحصى بعلمه كل شىء .. والمحصى المطلق هو الذى ينكشف فى علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه .. وعلم المولى بالأشياء لانهاية له ، ومعلومات « الله » لا نهاية لها .. وإذا كان الأمر كذلك فالإحصاء فوق الخيال ؛ لأن مايُحصَى لا حد له ، ولا حصر

(١) إبراهيم : ٣٤ (٢) يس : ١٢ (٣) الطلاق : ١ (٤) الكهف : ١٢
(٥) الجن : ٢٨ (٦) مريم : ٩٤

له ، ولا يستطيع حصره وإحصاؤه إلا المحصى المطلق .. ومما يُذْهِل المجرمين يوم القيامة ماسُطر عليهم فيقولون كما حكى عنهم القرآن : (**وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**)[1] .. والأمم السابقة ، يقول الله فى شأنهم : (**وكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**)[2] فالإحصاء غير متناه للموجودات ومكوناتها ، وكذلك أعمال المخلوقات ، وحركاتها ، وسكناتها ، يقول تعالى : (**وَمَاتَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ**)[3] .. سبحان من أحاط بكل شىء علما .. وأحصى كل شىء عددًا .. سبحانه وتعالى .. هو المحصى الحق .. هو « اللهُ » .

الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ

« الإبداء » : هو الإيجاد لشىء غير مسبوق بمثله ، فإن كان مسبوقًا بمثله يسمى « إعادة » ، و« المبدئ » هو الذى أظهر الأشياء من العدم إلى الوجود ، والمعيد هو الذى يعيدها بعد فنائها ، قال تعالى : (**وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**)[4] (**إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**)[5] (**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**)[6] (**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**)[7] (**وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلِ وَمَايُعِيدُ**)[8] (**إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**)[9] (**أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**)[10] .

بدأه وابتدأه وأبدأه : فعله مبتدئًا على غير مثال سابق ..وأمثلة البدء والإعادة فى الخلق كثيرة مثل : الحبة والشجرة ، والبيضة والفرخة ، وما إلى ذلك .. والمبدئ المطلق .. والمعيد المطلق .. هو « الله » .

(١) الكهف : ٤٩ (٢) القمر : ٥٢ ، ٥٣ (٣) الأنعام : ٥٩ (٤) الروم : ٢٧
(٥) البروج : ١٣ (٦) الأنبياء : ١٠٤ (٧) الأعراف : ٢٩ (٨) سبأ : ٤٩
(٩) يونس : ٤ (١٠) العنكبوت : ١٩

الْمُحْيِي الْمُمِيتُ

المُحْيِـي هو الذى خلق الحياة فى كل حى ، و« **المميت** » هو الذى خلق الموت فى كل مَنْ أماته .. وهو الذى خلق الموت والحياة .. وهو يُحيي من يشاء ، ويُميت من يشاء ، فهى أفعال تتعلق بمشيئته وقدرته .. وهو خالق الحياة فى كل شىء .. يحيي الخلق من العدم .. ثم يحييهم بعد الموت يوم القيامة ، قال تعالى : (**كَيْف تَكْفُرُونَ بِاللهِ وكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)[1] .. ويُحيي الأرض ، قال تعالى : (**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِـي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها**)[2] .. ويُحيي القلوب بالإيمان ، قال تعالى : (**أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس**)[3].

و« **المميـت** » هو الذى يسلب الحياة ، قال تعالى : (**وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا**)[4] .. ويميت بالنوم ويحيى بالإيقاظ ، قال تعالى : (**فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**)[5] .. وفرق بين الموت والقتل ، قال تعالى : (**أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ**)[6] .. وسمى الموت مصيبة ، فقال : (**فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ**)[7] .. وفرق بين مَنْ مات شهيدًا ومَنْ مات غير شهيد ، فقال : (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)[8] .. ونهى عن تسمية الشهيد ميتا ، فقال : (**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ**)[9] .. وأى قاتل لشىء ، أو مميت لشىء : كالصيد والذبح

---

(١) البقرة : ٢٨ (٢) الروم : ٥٠ (٣) الأنعام : ١٢٢ (٤) النجم : ٤٤
(٥) البقرة : ٢٥٩ (٦) آل عمران : ١٤٤ (٧) المائدة : ١٠٦ (٨) آل عمران : ١٦٩
(٩) البقرة : ١٥٤

والقتل وما إلى ذلك .. فالحقيقة أنه يتلف البدن فقط ، أو يفسده أو يدمره .. أما المميت الحقيقى .. فهو « اللهُ » .

والموت مخلوق والحياة مخلوقة ، قال تعالى : (**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**)[1] .. والموت سابق على الحياة ؛ فقد كان الكون عدمًا ، قال تعالى : (**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**)[2] .. والإحياء والإماتة لا يقدر عليها إلا المحيى المميت ؛ لأن الحياة نفسها سر ، والموت سر أعظم .. وألوان الحياة فى الإنسان والحيوان والنبات والكائنات الحية والميكروبات والفيروسات والجراثيم والكائنات الدقيقة والرخويات ومالى ذلك – تثير العجب والحيرة .. وسر الحياة فى الإنسان الروح ، والروح من أمر ربى ، ونزع الروح بأمر « الله » ، وكنه الروح غير معلوم وهو مما وراء العقل قال تعالى : (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**)[3] .. وقال : (**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**)[4] .. واتصال الروح بالجسد ومفارقتها له أمور تخرج عن طاقة العقل البشرى وعن حدود العلم .. وعليه فلا يعلم « المحيى » .. إلا « المحيى » .. ولا يعلم « المميت » إلا « المميت » ..سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْحَـــيُّ

الْحَـــيُّ هو الموصوف بالحياة الدائمة ، التى لا يعتريها فناء ولا موت ولا عدم ولا نقص ، وله البقاء المطلق ، ولا يسبق حياته عدم ، ولا يلحق حياته عدم أو فناء ، وهو المدرك الفعال .. ودرجة الرقى فى الحياة تُحسب على أساس الإدراك والفعل .. فدرجة حياة الحيوان أرقى من درجة حياة النبات ، ودرجة حياة الإنسان أرقى من درجة حياة الحيوان حيث ترقى الأفعال وترقى درجات الإدراك .. والإنسان المؤمن أرقى حياة من الفاسق ، والفاسق أرقى من الكافر ..

(١) الملك : ٢ (٢) البقرة : ٢٨ (٣) الحجر : ٢٩ (٤) السجدة : ٩

وسمى الله المؤمن حيًّا ، وسمي الكافر – بالقياس عليه – ميتًا فقال تعالى : ﴿ وَمَايَسْتَوِى الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ ﴾[1] .. فإذا كانت درجات الحياة تتفاوت طبقا لتفاوت درجات العقل والإدراك ؛ فالحى المطلق هو الذى تندرج تحت علمه جميع المدركات ، وتخضع لسلطان قهره كل الموجودات ، لايشذ عن علمه مُدْرَك ولا عن فعله مفعول .. وهو الذى خلق الأفعال .. ولا فاعل على الحقيقة إلا هو .. وهو الذى خلق الإدراك وخلق التمييز للكائنات والموجودات .. وهو الذى خلق العقول والقلوب .. بل هو الذى خلق الحياة نفسها .. وكل حياة فى الوجود مستمدَّة من وجوده .. فلا شك أنه الحى المطلق،قال تعالى : ﴿ هُوَ الْحَىُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْقَيُّــــومُ

القيــوم هو القائم بنفسه الذى لا يفتقر فى قيامه إلى غيره ، فهو قائم بذاته على الإطلاق ، الغنى عن غيره ، وكل ماعداه مستند إليه ، ولا قوام للموجودات إلا به .. فهو القائم بذاته ، المقيم لغيره ، المستغنى بذاته ، ولا غنى لغيره عنه ، ولا قوام لأى شيء إلا به .. المنزّه عن التحيّز والحلول .. المبرّأ عن التغيّر والفتور .. لا يناسب الأشباح .. ولا يعتريه مايعترى الأرواح .. وهو البالغ النهاية فى الكمال فى تدبير الملك والملكوت ، ولا قيوم سواه .. ولا يطلق هذا الاسم على غيره .. وصيغة المبالغة لقائم « قوَّام » ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[3] .. أما « قيوم » : فهى صيغة مبالغة من أسماء « الله » الحسنى لا يوصف بها سواه .. وصيغة الفاعل جاءت فى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى

---

(1) فاطر : ٢٢ (2) غافر : ٦٥ (3) النساء : ٣٤

كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)[1] وفى قوله : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)[2] ، وجاء الاسم فى قوله : (وَعَنَت الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)[3] وذلك يوم القيامة .. حيث هو الحى المطلق .. القيوم المطلق .. كما جاء فى قوله : (اللهُ لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)[4] إذ هو الحى أزلا وأبدا ، القيوم أزلا وأبدًا .. وقيل هو الاسم الأعظم ، وإذا استغاث به المستغيث أغاثه ، فقد أُثر عن النبى ﷺ قوله : (يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)[5] .. سبحان القيوم المطلق .. سبحانه وتعالى ..هو « اللهُ » .

الْوَاجِـــــدُ

وجد يجد جَدةً ووُجدا : استغنى وصار ذا مال ويسار ، كما فى قوله تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سكَنْتُم مِنْ وُجْدِكُمْ)[6] أى من وسعكم وماتجدون من مال ، أى فى حدود قدرتكم .

ووجد يجد وجدانا ووجودا : أصابه وأدركه وصادفه وعلمه ، كما جاء فى قوله تعالى : (إِنِّى وَجَدْتُ امرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)[7] .. (سَتَجِدُنى إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالحِينَ)[8] .. (قُلْ لاَ أَجِدُ فِيما أُوحِىَ إِلَىَّ مُحرَّمًا عَلَى طاعمٍ يطعمُه إلا أَنْ يَكُونَ ميتةً أو دمًا مَسْفُوحًا أو لحمَ خِنزِيرٍ)[9] وتعريف الواجد أنه ضد الفاقد .. وهو الذى يجد مايريده ، فكل شىء حاضر لديه ، فالواجد هو الذى لا يعوزه شىء ، وهذا الاسم غير وارد فى القرآن لكنه متفق عليه .

والذى يفقد مالا حاجة له به فليس بفاقد ، وكذلك من يكون عنده

---

(١) الرعد : ٣٣ (٢) آل عمران : ١٨ (٣) طه : ١١١ (٤) البقرة : ٢٥٥
(٥) من دعاء الرسول ﷺ . (٦) الطلاق : ٦ (٧) النمل : ٢٣ (٨) القصص : ٢٧
(٩) الأنعام : ١٤٥

مالا يحتاجه فى الحال أو المآل فليس بواجد .. إذ الواجد هو الذى لا يفتقد شيئًا هو محتاج له فى وجوده أو بقائه أو كماله .. والواجد المطلق هو المستغنى بذاته عن كل شيء ، والمستوفى لصفات الجلال والكمال وكل صفات الألوهية القائمة بذاته أزلاً وأبدا .. فهو الواجد المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْمَاجِــــــدُ

الماجـــد : بمعنى « المجيد » كالعالم بمعنى العليم ، لكن صيغة « الفعيل » أكثر مبالغة من صيغة الفاعل ، وهذا الاسم لم يرد فى القرآن أيضًا كالواجد ، وهو مشتق من « المجد » وهو نهاية الشرف .. وشرف الذات إذا قارنه حُسن الفعال سمى « مجدا » ، ولا شرف يعلو على شرف الذات العلية ، ولا صفات تدانى الصفات الأزلية .. ولا أفعال للمخلوقات على الحقيقة بل « الله » هو خالق الموجودات وموجد الكائنات ومالها من حركات وسكنات .. فهو الفعال على الحقيقة .. وكل الأفعال من حيث « الله » حسنة جميلة .. فهو الماجد المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْــوَاحِــــدُ

الآحاد أربعة أنواع :

الأول : يتحيّز وينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجسم .

الثانى : يتحيّز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجوهر الفرد مثل العقل ، ومثل الروح .

الثالث :لا يتحيّز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو العَرَض ، أو مايسمى بالعارض مثل الهم ، ومثل الحزن .

الرابع : لا يتحيّز ولا ينقسم ولا يفتقر إلى محل ، وهو الواحد المطلق المنفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله .. فهو واحد فى ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ .. واحد فى صفاته فلا يشبه شيئا ولا يشابهه شيء .. وواحد فى أفعاله فلا شريك له فيها .. وهو الواحد القديم وغيره حادث .. وهو الواحد الباقى وغيره فانٍ .

وهو الوتر المطلق لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [1] ﴾ فنعلم أن خالق الأزواج فرد ؛ فلا يُقَدَّرُ فى صفته حركة ولا سكون ، ولا ضياء ولا ظلام ، ولا قعود ولا قيام ، ولا ابتداء ولا انتهاء ، إذ هو – عز وجل – وتر : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [2] .. وكل شيء له شبيه ونظير وند وضد : كالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والذكر والأنثى ، والجن والإنس ، والخير والشر ، والقيام والقعود ، والنوم واليقظة ، والموت والحياة ، والحلو والمر ، والداء والدواء ، والمرض والشفاء ، والعقل والجنون ، والأمانة والخيانة ، والإسراف والتقتير ، والطول والعرض ، والشمال والجنوب ، والشرق والغرب .... وهكذا بلا نهاية .

والواحد المطلق الذى لا شبيه له ولا نظير ، ولا ند ولا ضد ، ولم يتكون من أجزاء ، ولا يجوز عليه الانقسام .. هو الواحد المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « الله »

---

(١) الذاريات : ٤٩ (٢) الشورى : ١١

الصَّمَـــدُ

الصَّمَــدُ هو الذى يُصمد إليه فى الحوائج ،ويُقصد إليه فى الرغائب ، ويُفزع إليه فى الشدائد .. هو الذى لا جوف له ؛ فلا يحتاج لطعام وشراب .. والمنزه عن الآفات ، ويبقى ولا يزول ، السيد الذى قد كَمُل فى سؤدده ، والشريف الذى قد كَمُل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى جميع أنواع الشرف والسؤدد ، ولا زوال له .. ولم يلد .. ولم يولد .. وليس كمثله شىء .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْقَـادِرُ الْمُقْتَـدِرُ

اسم فاعل أى ذو القدرة قال تعالى : (**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُم أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**)(١) .. وقال : (**فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**)(٢) .. وقال : (**فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ**)(٣) .. وقال : (**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**)(٤) .

القَادِرُ : ذو القدرة التامة الذى لا يعجزه شىء ، ولا يتقيد بأسباب ، وهو المتمكن من الفعل بلا معالجة ، ولا وساطة ، ولا أداة ، ولا جارحة ، ولا يلحقه عجز فيما يريد إنفاذه ، الذى يَقدِر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود ..

---

(١) الأنعام : ٦٥ (٢) المرسلات : ٢٣ (٣) القمر : ٤٢ (٤) القمر : ٥٥

وهو الذى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل .. والقادر المطلق هو الذى يخترع كل موجود اختراعا ينفرد به ويستغنى فيه عن معاونة غيره .

المُقْتَــدِرُ : عظيم القدرة المسيطر بقدرته البالغة على كل شىء ، المستولى على كل شىء .. والقادر والمقتدر : مشتقان من القدرة ، لكن المقتدر أبلغ لأن زيادة المبنى [1] تدل على زيادة المعنى .. والمقتدر الذى يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره فضلاً منه وإحسانًا .. قال تعالى : (**وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِرًا**) [2] .. سبحانه وتعالى .. هو القادر المطلق .. والمقتدر المطلق .. هو « اللهُ » .

الْمُقَــدِّمُ الْمؤخِّــرُ

أسماء صفات فعلية .. والتقديم والتأخير لابد وأن يكون بالإضافة .. فتقديم شىء معناه جعله قدام غيره وهكذا .. والتقديم كما يكون فى المكان يكون فى الزمان ، ويكون أيضا فى الرتبة والمقام ، ولابد فيه من مقصد أو غاية يضاف إليها التقدم لما يتقدم ، والتأخر لما يتأخر .. والمقدم والمؤخر هو الذى يقدم بعض الأشياء على بعض فى الوجود ، ويقدم الأسباب على مسبباتها ، ويقدم الزمان على الزمان ، والمكان على المكان ، والحركة على الحركة ، والأمم على الأمم ، والقرون على القرون ، ويقدم من شاء من عباده بالعلم والطاعة والتقوى والإنابة والشرف والاستجابة ، ويقدم من يشاء فى الدنيا والآخرة بإعطائهم الدرجات العالية .. وهو الذى يؤخر إيجاد بعض الأشياء عن بعض بمشيئته ، ويؤخر من

---

(١) عدد حروف كلمة « مقتدر » يزيد عليها فى كلمة « قادر » ، وأى زيادة فى حروف كلمة عن عدد حروف كلمة أخرى مشابهة لها ، يفيد زيادة المعنى فى الكلمة الأولى .

(٢) الكهف : ٤٥

يشاء من عباده فى الشرف والرتبة والقرب والحب والتقوى والطاعة والعلم والهداية .. سبحانه وتعالى يقدم ويؤخر مايشاء ومَنْ يشاء على مقتضى حكمته .. ولا يقع شيء فى الملك والملكوت إلا وفق إرادته .. وكل متقدم فهو مقدَّم بالإضافة لما بعده ، متأخر بالإضافة إلى ماقبله .. وكل متأخر فهو مؤخَّر بالإضافة إلى ماقبله ، مقدَّمٌ بالإضافة لما بعده .. وكل ماتقدم لم يتقدم بعمله أو بعلمه .. وكل متأخر لم يتأخر بقصده أو بفعله .. ولكن الله – تبارك وتعالى – هو المقدم وهو المؤخر يخلق مايشاء ويختار : ﴿ **مَاكَانَ لَهُم الْخِيرَةُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[1] .. وهو القائل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾[2] .. وهو القائل : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** ﴾[3] .. وهو القائل : ﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾[4] .. سبحانه وتعالى .. هو المقدم وهو المؤخر .. هو « اللهُ » .

الأَوَّلُ الآخِـــرُ

الأَوَّلُ هو القديم السابق على كل شيء ، **والآخر** هو الباقى وحده بعد فناء كل شيء .. فهو أول بلا بداية ، وآخر بلا نهاية .. فقد كان موجودًا بذاته قبل وجود مخلوقاته ، وكان موجودا وحده ولا شيء معه ، وهو الباقى وحده بلا انتهاء ؛ حيث لا يجوز عليه سبحانه الفناء ، بل يُفنى خلقه ويبقى بعد فنائهم ، ثم يبعثهم ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .. والأول يكون أولا بالإضافة إلى شيء ، والآخر يكون آخرا بالإضافة إلى شيء ، وهما متناقضان .. فقال بعضهم : هو الأول بالإضافة إلى الموجودات ، إذ هو موجود

---

(١) القصص : ٦٨ (٢) الأنبياء : ١٠١ (٣) السجدة : ١٣ (٤) الأنعام : ١٦٥ .

من الأزل بذاته ، والموجودات كلها استفادت الوجود منه ، وهو آخر بالإضافة إلى السلوك ، فهو آخر ماترْقى إليه درجات العارفين ، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة إلى معرفته ، والمنزل الأقصى هو معرفة الله تعالى ، وإليه المرجع وإليه المصير.

والأفضل أن يقال هو الأول المطلق والآخر المطلق .. فله الخلق والأمر ، وإليه يرجع الأمر كله ، وإلى الله تصير الأمور ، وهو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه .. ولا يعرف الأول إلا الأول .. ولا يعرف الآخر إلا الآخر .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الظَّاهِـرُ الْبَـاطِـنُ

الظاهـرُ هو الظاهر بالقدرة على كل شىء ، والظاهر بالأدلة العقلية لكل شىء ، فما من موجود فى الأرض ولا فى السماء من كائنات وأجرام وأوصاف وموصوفات وأسباب ومسببات إلا وهى شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدبر دبرها وقدرها وأوجدها وخصصها بخصوص صفاتها ، قال تعالى : (**وفِى الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**)(١) .. شهدت له الكواكب فى شروقها والغروب ، وأقرت به الأحياء فى مطعومها والمشروب .. والكون كله بما فيه ومَن فيه مظهر من مظاهر أسمائه وصفاته .

الباطـنُ هو المحتجب عن إدراك الأبصار ، الباطن بكنه ذاته عن إدراك العقول والأفكار ، فهو باطن عن إدراك الحواس وخزانة الخيال ، فكل ماخطر ببالك فالله خلاف ذلك .

---

(١) الذاريات : ٢٠ ، ٢١

فهو سبحانه وتعالى الظاهر إن طُلب من العقل بطريقة الاستدلال ، الباطن إن طُلب من طريق الحواس وتوهمات الخيال .. فهو - عز وجل - الظاهر من جهة التعريف ، الباطن من جهة التكييف .
فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره ، وخفى عليهم بشدة ظهوره ، فهو الظاهر الذى لا أظهر منه .. وهو الباطن الذى لا أبطن منه .. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الــــوَالى

الــوَالى هو المتولى أمور خلقه بالتدبير والقدرة والفعل ، فهو سبحانه المالك للأشياء المتكفل بها ، القائم عليها بالإدامة والإبقاء ، المنفرد بتدبيرها ، المتصرف فيها بمشيئته .. ينفذ فيها أمره ، ويجرى عليها حكمه .. ولا « وَالِيَ » للأمور سواه .. فهو الحاكم على الإطلاق فلا يزاحمه أحد .. والولاية تُشعر بالتدبير والقدرة والفعل والحكم .. ولا يجتمع كل ذلك إلا « لله » .. هو الوالى الحق .. والوالى المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْمُتَعَـالى

الْمُتَعَـالى هو الكامل فى العلو والعظمة ، البالغ الكمال فى الرفعة والكبرياء فى ذاته وصفاته ، المترفع عن النقائص ، وعن إحاطة العقول والأفكار .. والعلو مقابل للسُّفل ، وذلك إما فى درجات محسوسة كالأجسام ، وإما فى الرتب المعقولة للموجودات المترتبة نوعًا من الترتيب العقلى .. وكل ماله الفوقية فى المكان فله العلو المكانى ، وكل ماله الفوقية فى الرتبة ، فله العلو فى العلو ، ومثال الدرجات العقلية هو التفاوت بين السبب والمُسَبَّبِ ، والعلة والمعلول ، والفاعل

والمفعول ، والكامل والناقص .. فالسبب أعلى من المسبَّب ، والفاعل أعلى من المفعول ، والعلة أعلى من المعلول ، والكامل أعلى من الناقص .

وعليه فإن الموجودات لا يمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة فى العقل إلا ويكون الحق – تبارك وتعالى – فى الدرجة العليا من درجات أقسامها ؛ حيث لا يُتصور أن يكون فوقه درجة ، وذلك هو العلو المطلق .. وكذلك تنقسم الموجودات إلى ميّت وحى ، والحى ينقسم إلى ماليس له إلا الإدراك الحسى كالبهائم ، وإلى ماله إدراك حِسِّى وعقلى كالإنسان ، والإنسان مكلف مبتلى قد يسلّمه الله وقد لا يسلمه .. والملائكة مسلمة من العيوب ، مبرأة من الذنوب ، فهى أرقى من الناس .. والناس أرقى من البهائم علوًا فى الرتبة .

والله تعالى « متعالٍ » على الكل فهو الحىُّ المطلق ، المحيى ، وخالق الحياة .. العالم المطلق ، والخالق لعلوم العلماء .. المنزه والمقدس عن جميع أنواع النقص وهكذا .. يجب أن نفهم العلوَّ بالنسبة للذات العلية ، ولا يصح ولا يجوز أن نفهم العلو بالمكان ؛ « فالله » – تبارك وتعالى – منزَّه مقدَّس عن التحدد والتقدر بحدود الأجسام .. وهو فوق كل شىء فوقية لا تزيده بعدا عن خلقه ، بل هو قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وقربه من خلقه لا يماثل قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذوات الأجسام .. وهو فى قربه من خلقه بائن عنهم بالصفات ، رفيع الدرجات عن الأرضين والسموات .. وعلوه المطلق ليس بالإضافة لشىء ، وفوقيته – سبحانه وتعالى – بحسب الوجوب ، وليس بحسب الوجود .. فهو العلى المطلق الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى عما يشركون .. سبحانه وتعالى عما يصفون .. سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُوًا كبيرًا .. هو العلى .. وهو الأعلى ..

وهو المتعالى .. هو « الله » .

الْبَــــرُّ

البَــرُّ هو المتوسع فى الإحسان ، يَمُنُّ على عباده دينًا ودنيا ، ولا يقطع الإحسان بسبب العصيان .. و« البرّ » المطلق هو الذى منه كل مبرة وإحسان ، يوصل الخير لمن يريد برفق ولطف ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .. والعبد يُرزق البِر كما فى قوله : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (٢) .. وقوله : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣) .. وقد علمنا الله الطلب فقال : ﴿ وَتَوَفَّنَا مع الأَبْرَارِ ﴾ (٤) .. وبشَّر على ذلك فقال : ﴿ وَمَاعِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ ﴾ (٥) .. وأمرنا بالبِرِّ حتى ننال ماعند البَرِّ– سبحانه – فقال : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٦) .. وقال منبها : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٧) وأوضح طريق البِرِّ المقبول فقال : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾ (٨) أى ولكن البَرَّ برُّ من آمن .. ووصف الملائكة مُثْنيًا عليهم فقال : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (٩) .. فهو البَرُّ المطلق .. والبِرُّ منه تفضلاً وإحساناً .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

---

(١) الطور : ٢٨ (٢) مريم : ١٤ (٣) مريم : ٣٢ (٤) آل عمران : ١٩٣
(٥) آل عمران : ١٩٨ (٦) المائدة : ٢ (٧) آل عمران : ٩٢ (٨) البقرة : ١٧٧
(٩) عبس : ١٥ ، ١٦

التَّـــوَّابُ

تاب يَتوب توبًا وتوبة ومَتابًا وتابةً : رجع عن المعصية .. وتاب إلى الله : رجع إليه بالطاعة بعد المعصية .. وتاب الله عليه : وفَّقه للتوبة وقبلها منه وسلك به سبيل الرشاد .. قال تعالى : (**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**) (١) .. وقال : (**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا**) (٢) .. وقال : (**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِليه الْمَصِيرُ**) (٣) .. وقال : (**وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابا**) (٤) .. و« التواب » : صيغة مبالغة كما جاء فى قوله : (**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**) (٥) وهم الذين يتوبون دائمًا عن كل ذنب ومعصية وهَمٍّ وخاطِر .. و« التواب » من أسماء « الله » الحسنى وهو صفة فعل ، ومعناه : كثير قبول التوبة .. قال تعالى : (**وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**) (٦) .. وقال : (**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) (٧) .. والتواب هو المهيئ أسباب التوبة لعباده .. يحذرهم ويمهلهم ويذكرهم ، فإن تابوا تاب عليهم ، وإن عادوا للذنب سهل لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى ، ولو أذنب العبد مائة مرة فى اليوم وتاب إلى الله فى كل مرة تاب عليه .. سبحانه يعود بأصناف الإحسان على عباده : فيوفقهم بعد خِذْلان ، ويعطيهم بعد حرمان ، ويخفف عنهم بعد تشديد ، ويعفو عنهم بعد وعيد ، ويخرجهم من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ..

---

(١) المائدة : ٣٩ (٢) التوبة : ١١٨ (٣) غافر : ٣ (٤) الفرقان : ٧١
(٥) البقرة : ٢٢٢ (٦) الحجرات : ١٢ (٧) البقرة : ٥٤

سبحانه وتعالى لا تضرُّه المعاصى ، ولا تنفعه الطاعات .. هو الرازق للتوبة والموفق لها والقابل لها ، وبها يبدل السيئات حسنات .. هو التواب .. سبحانه وتعالى .. هو « الله ».

الْمُنْتَقِــــمُ

المنتقــم هو الذى يقصم ظهور الطغاة ، ويشدد العقوبة على المصرين العصاة .. والانتقام غاية النكال .. يقول سبحانه : (**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**) (١) .. ويقول : (**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**) (٢) .. ويقول : (**فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**) (٣) .. ويقول : (**وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ**) (٤) .. والانتقام أشد من العقوبة العاجلة التى لا تمكِّن الظَّلَمة من الإمعان فى المعصية والطغيان .. ولا يكون الانتقام إلا بعد إمهال وإملاء ، فيقصم ظهور العتاة ، ويُنَكِّل بالجناة ، ويُشدِّد العقاب على الطغاة ، وذلك بعد الإعلان والإنذار ، وبعد التمكين والإمهال .. والفعل « نَقَمَ منه » أى عَاقَبه .. ونقِم الشىء أى أنكره وعابه وكرهه .

ولا يكون الانتقام إلا من الجبارين العتاة فى الإجرام، يقول الله تعالى : (**فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا**) (٥) .. ويقول : (**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**) (٦) .. هو الفعال لما يريد .. سبحانه وتعالى ..هو « الله » .

* * *

(١) إبراهيم : ٤٧ (٢) السجدة : ٢٢ (٣) الزخرف : ٥٥ (٤) المائدة : ٩٥
(٥) الروم : ٤٧ (٦) السجدة : ٢٢

العَفُـــــوُّ

عفا عن الذنب عفوًا : تجاوز عنه وترك العقاب عليه فهو عاف عن الذنب ، وصيغة المبالغة « عفوّ » أى كثير العَفْو .. قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أو يعفُوَ الَّذى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** ﴾(١) أى يتجاوزن عن حقهن فى نصف المهر إذا طُلقن قبل الدخول .. وقال تعالى : ﴿ **خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْف** ﴾(٢) أى خذ ما عفا عنه الناس وسمحوا به عن طيب خاطر .. وقال : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾(٣) أى مازاد عن حاجتكم الضرورية وسمحت به نفوسكم .. ومن الدعاء فى القرآن : ﴿ **وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا** ﴾(٤) .. وأمر بالعفو فقال : ﴿ **فَاعْفُوا واصْفَحُوا** ﴾(٥) .. وقال : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾(٦) .. وقال عن نفسه عز وجل : ﴿ **وكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾(٧) .. وقال مؤكدًا : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** ﴾(٨) .. والعفو أبلغ من الغفران ؛ لأن المغفرة ستر الذنوب ، والعفو محو وغفران .. يقول تبارك وتعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾(٩) .. « **والتائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ** » .. سبحان العفوّ .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٣٧ (٢) الأعراف : ١٩٩ (٣) البقرة : ٢١٩ (٤) البقرة : ٢٨٦
(٥) البقرة : ١٠٩ (٦) آل عمران : ١٣٤ (٧) النساء : ٩٩ (٨) الحج : ٦٠
(٩) الشورى : ٢٥

الـــرَّءُوفُ

رَأَفَ بهِ يَرْأَفُ بفتح الهمزة وضمها رأفة : أشفق عليه من أن يحل به مكروه .. والرأفة أبلغ من الرحمة .. والرأفة من الله : دفع السوء عن العبد وكشف الضُّر برفق ولطف .. والرأفة عامة إذ يقول تعالى : (**إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**)[1] .. وقد رُوِىَ أن الإمام « أحمد بن حنبل » بلغه أن رَجُلاً وراء النَّهر يروى أحاديث ثلاثية[2] ، فرحل الإمام إليه ، فلما ورد عليه ، وجده يُطْعِمُ كَلْبًا ، فَسلَّم عليه الإمام ، فَرَدَّ عليه السَّلام ، ثم اشتغل بإطعام الكلب ، ولم يلتفت إليه فلما انتهى من إطعام الكلب التفت إلى الإمام وقال : « لعلك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ؟ » قال : « نعم » ، فقال الرجل : « حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : (**مَنْ قَطَعَ رَجَاءَ مَن ارتجاه قَطَعَ اللهُ رَجَاءه يومَ القيامةِ فَلَمْ يَلِجْ الجنةَ**) ، ثم قال الرجل : « أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه » فقال الإمام « أحمد » : يكفينى هذا الحديث ، ثم رجع .. ورأفة الله تبارك وتعالى ينالها الرحماءُ كما قال (ﷺ) : (**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاء**) ، وقال : (**ارْحَمُوا مَنْ فى الأرض يَرْحَمْكُم مَن فى السَّماءِ**) .. سبحان الرَّءوف الرَّحِيم .. سبحانه وتعالى ..هو « اللهُ » .

* * *

(١) البقرة : ١٤٣

(٢) الذى رواه راو عن راوٍ قبله عن راو ثالث رواه عن رسول الله (ﷺ) .

مَـــالكُ المـــلْكِ

« مـــالك » : اسم فاعل مثل قوله تعالى : (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**) (١) .

و« **المُلْك** » : مصدر بمعنى السلطان والحكم .. مثل قوله : (**مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَان**) (٢) .

ومَـــالِكُ المـــلْكِ : الذى يُجرى الأمور فى ملكه على ما يشاء .. لا رادَّ لقضائه ، ولا مُعَقبَ لحُكْمِه .. مَلَكَه يملكه مُلكا بتثليث الميم (بحركات الميم الثلاث) (٣) : حازه وانفرد بالتصرف فيه فهو مالِك .. والمِلْك يكون فى الأعيان المحسوسة حقيقة ، كما جاء فى قوله تعالى : (**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) (٤) فهذا مِلْك حقيقى .. ويكون فى المعانى مجازًا كقوله : (**فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً**) (٥) .. وقوله : (**إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ**) (٦) .

والمـــلِك : الحاكم ذو السلطان والسيادة كما فى قوله تعالى : (**وَقَالَ المَلِكُ ائتونى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى**) (٧) .. والمالِكُ والمَلِكُ والمَلِيكُ : من أسماء « الله » الحسنى قال تعالى : (**هُوَ اللهُ الذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمِلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**) (٨) .. وقال : (**عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**) (٩) .. وقال : (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّين**) (١٠) وقُرِئَتْ : (**مَلِك يَوْمِ الدِّين**) وقال : (**قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ**

---

(١) يس : ٧١ (٢) البقرة : ١٠٢ (٣) الضمة ، والفتحة ، والكسرة
(٤) النساء : ٣٦ (٥) الإسراء : ٥٦ (٦) النمل : ٢٣ (٧) يوسف : ٥٤
(٨) الحشر : ٢٣ (٩) القمر : ٥٥ (١٠) الفاتحة : ٤

المُلْكِ ﴾[1] .. والملكوت : المُلْك العظيم ، ولا يُطلق إلا على مُلْكِ « الله » خاصة .. قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3] .. **ومالك الملك** : هو « الله » الذى يتصرف فى مملكته كيف شاء ، وكما شاء ، وقت مايشاء .. إيجادًا وإبقاءً وإعدامًا وإفناءً وتدبيرًا وتصريفا وتقديرًا .. فهو الملك والمالك والمليك ، وملكه ومملكته من خلقه وإيجاده دون شريك أو مُنَازِع ؛ فقد كان موجودًا والكَوْن عَدَم ، ومن حَكَمَ فى ملكه فما ظَلَم .

وكل مَلِك فى الدنيا سلطانه زائل مهما طال ، ولم يكن له أصلاً ؛ إذ لو دام لغيره ما انتقل إليه ، وهو صائر إلى غيره من بعده .. ومهما ملك فملكه محدود .. ويكون مَلِكًا وليس مالكا ، فلا يملك قلوب الرَّعيَّة ولا ممتلكات الغير ، وقد يكون مالكا وليس ملكا ، فهو يملك الضياع والأراضى والغابات والمساحات لكنه ليس ملكا عليها ولا متحكِّمًا فيها أو فيمن فيها .. أما مالك الملك فهو الذى ملك فحكم فعدل ، وهو المالك والملك والمليك يملك كل شىء ظاهرًا وباطنًا ، بالإيجاد من العدم أولاً ، وبالإبقاء ثانيًا ، وبالتدبير والتصريف ثالثًا .. وهو الحاكم الوحيد ، والسلطان كله له ، والمُلْك كله بيده ، يحكم ما يريد ، ويقضى مايشاء ..لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ .. ولاراد لقضائه .. هو الملك المطلق .. وهو المالك المطلق .. وهو مالك الملك .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

---

(١) آل عمران : ٢٦ (٢) الأعراف : ١٨٥ (٣) يس : ٨٣ .

ذُو الْجَـلاَلِ والإِكْرَام

ذو الجـلال والإكرام .. هو المنفرد بصفات الجلال والكمال والعظمة .. المختص بالإكرام والكرامة .. فكل جلال هو له .. وكل كرامة منه سبحانه .. له الجلال فى ذاته وصفاته وأسمائه .. والإكرام فيض منه على عباده وجميع مخلوقاته .. قال سبحانه : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾(١) .. وهو القائل : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾(٢) .. وجلَّ الشىء يَجِلُّ جلالا وجلالة : عظم شأنه فوق كل الأشياء .

وجـلال الله : عظمة « الله » وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح .. والإكرام .. أى هو أهل لأن يُكرم عما لا يليق به من الشِّرْكِ أو الوَصْفِ .. ومنه تَصْدُرُ كل كرامة لعباده .. سبحانه .. هو ذو الجلال والإكرام بحق .. هو « الله ».

الْمُقْسِـــط

قَسَطَ يَقْسِطُ : ظَلَم .. والقُسوط : الظلم والجور والعدول عن الحق ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾(٣) .. والقاسِط : الظالم الجائر .. وأقسط : عدل وأزال الظلم والجور .. وكأن الهمزة فيه للسلب والإزالة كشكَى وأشكاه : أى أزال شكواه ، والقِسْط : العدل .. وأقسط فهو مقسط ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** ﴾(٤) وقوله : ﴿ **وَأَقْسِطُوا إِنَّ**

(١) إبراهيم : ٣٤ (٢) الإسراء : ٧٠ (٣) الجن : ١٥ (٤) الأعراف : ٢٩

اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[1] .. وقوله : (**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ**)[2] أى بالعدل .. واسم التفضيل : أقسط ، كما جاء فى قوله تعالى : (**ادْعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ**)[3] .

والقسط أيضا الحَظ والنصيب ، يقال : تقسَّطْنَا الشيء بيننا أى اقتسمناه .. والْقُسْطَاس بضم القاف وبكسرها : الميزان ، كما فى قوله تعالى : (**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**)[4] .. وقال عن نفسه عز وجل : (**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ والْملاَئِكَةُ وَأولُوا الْعِلْم قائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)[5] أى العادل فى حكمه الذى ينتصف للمظلوم من الظالم ، وينصر المستضعفين ويدرأ عنهم بأس الأقوياء الظالمين .. والمقسط من أقسط : أى عدل وأزال الظلم والجور .. ولعل من أسرار العدل الإلهى حلمه تعالى على الظالم مع إرضاء المظلوم .. وقد يظلم المسلم – وهو لا يدرى – عن غير قصد وعمد ، وقد يظلم ثم يتوب ولا يجد سبيلا لرد المظلمة ، ويأتى يوم القيامة ولم يستطع أن يتحلل من مظلمة أخيه ، ويقف الاثنان : الظالم والمظلوم أمام المقسط – سبحانه وتعالى – فيُرضى المظلوم ويعفو عن الظالم .. وذلك لا يقدر عليه إلا « الله » المقسط الحق .. ومثاله ما رواه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ ، فقال : (**بينما النبى ﷺ جالس ، إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : « بأبى أنت وأمى يارسول الله ما الذى أضحكك ؟ » قال : « رجلان من أُمَّتى جَثَيَا بين يدى رب العزة فقال أحدهما : « يارب خُذْ لى مظلمتى من هذا » ، فقال « الله » – عز وجل – : « رُدَّ على أخيك مظلمته » ، فقال : « يارب لم يبق من حسناتى شيء » . فقال عز وجل للطالب : «كيف تصنع بأخيك ولم يبقْ من**

(١) الحجرات : ٩ (٢) الرحمن : ٩ (٣) الأحزاب : ٥ (٤) الشعراء : ١٨٢
(٥) آل عمران : ١٨

حسناته شيء ؟! » ، فقال : « يارب فليحمل عنّي من أوزاري » ، ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال : « إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يُحمَلَ عنهم من أوزارهم » ، قال : فيقول الله -عزوجل- للمتظلم : « ارفع بصرك فانظر فى الجنان » ، فقال : « يارب أرى مدائن من فضة وقصورًا من ذهب مكللة باللؤلؤ.. لأى نبي هذا ؟ أولأىّ صِدّيق هذا ؟ أولأى شهيد هذا ؟ » ، فيقول « الله » عز وجل : « هذا لمن أعطى الثمن » ، فيقول العبد : « يارب ، ومن يقدر على الثمن ؟ » .

قال : « أنت تقدر عليه » قال : « بماذا يارب ؟» ، قال « الله » تعالى : « بعفوك عن أخيك » ، قال : « يارب قد عفوت عنه » . قال « الله » تعالى : « خذ بيد أخيك فأدخله الجنة » .. ثم قال ﷺ : « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينِكُم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » .

وفى حديث قدسي يقول « الله » عز وجل : (إنك إن ذهبت تدعو على آخر من أجل أنه ظلمك .. وإن آخر يدعو عليك إنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وعليك وإن شئت أَخَّرْتُكُما إلى يوم القيامة فأوسعكما عفوى) ..

سبحان الله .. سبحان العَفُوّ المقْسِط .. سبحانه وتعالى ..هو « اللهُ » .

الْجَامِـــــعُ

جمع يجمع جمعًا : لَمَّهُ وضم بعضه إلى بعض ، كما جاء فى قوله تعالى : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) (١) .. وجمع أمره : عزم عليه وأحكمه ، كما جاء فى قوله تعالى : (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) (٢) .. وأجمع على أمر ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوه فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) (٣) أى

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) طه : ٦٠ (٣) يوسف : ١٥

اتفقوا على ذلك .. واجتمع القوم : انضم بعضهم إلى بعض : (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا الْقُرْآنِ لاَيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)[١] .. والجَمْعُ : مصدر جَمَعَ ، كما جاء فى قوله تعالى : (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**)[٢] .. والأمر الجامع : الأمر العظيم ، كما جاء فى قوله تعالى : (**وَإِذَا كَانُوا مَعَه عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**)[٣] .

والمجْمَعُ : اسم مكان ، كما جاء فى قوله تعالى : (**لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**)[٤] .. ويوم الجَمْع : يوم القيامة ، كما جاء فى قوله تعالى : (**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**)[٥] .

والجَامِعُ : اسم فاعل ، وهو من أسماء « الله » الحسنى ، قال تعالى : (**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ**)[٦] .. وهو سبحانه الجامع بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات .

فجمعه بين المتماثلات كجمعه الخلق الكثير من الناس على ظهر الأرض ، وحشره إياهم فى صعيد واحد يوم القيامة .

وأما جمعه بين المتباينات فكجمعه فى العالم بين الكواكب والسماوات والأرض والبحار والأنهار والنبات والحيوان والحشرات والمعادن المختلفة .. وكلُّ ذلك متباين الأشكال والأحجام والألوان والأوصاف .. وقد جمع بين المتباينات فى الشيء الواحد : كجمعه بين العظم واللحم والدم والعصب والشعر والظفر والعضل والمخ والبشرة وما إلى ذلك فى الإنسان .. وما جمعه كذلك فى النبات من جذع وساق وأوراق وثمار .

---

(١) الإسراء : ٨٨ (٢) الكهف : ٩٩ (٣) النور : ٦٢ (٤) الكهف : ٦٠
(٥) التغابن : ٩ (٦) آل عمران : ٩

وأما جمعه بين المتضادات فكجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فى أجساد الأحياء .. وهى متنافرات متعاديات .. وجمعه بين « الموجب » و« السالب » فى « الشحنات الكهربائية » ، وكذلك فى القوى المغناطيسية ، وبين الضار والنافع .. حتى فى الهواء جمع بين « الأكسجين » و« ثانى أكسيد الكربون » .

وتفصيل جمع « الله » – تبارك وتعالى – لا يُعرف إلا إذا عُرفت تفاصيل مجموعاته – سبحانه وتعالى – فى الدنيا والآخرة .. نعم لا يَعرف الجامع إلا الجامع .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

الْغَنِــــىُّ

غَنِىَ يَغْنَى فهو غنى : كثر ماله .. وغَنِىَ عن الناس : لم يحتج إليهم .. وجمعه أغنياء ، كما جاء فى قوله تعالى : (**يَحْسَبُهُم الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِن التَّعَفُّفِ**)(١) .. والغَنِىُّ .. يقابل الفقير .. قال تعالى : (**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا**)(٢) .. وغَنِى القوم فى ديارهم : طال مقامهم فيها ، قال تعالى : (**فَأَصْبَحُوا فى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**)(٣) .. وغَنِيَتِ الأرض بأهلها : عَمَرَتْ بهم ، قال تعالى : (**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**)(٤) أى كأنها لم تَعْمُر .. وأغنى الشىءُ : كفى وحقق النفع المرجو منه ، قال تعالى : (**وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**)(٥) .. وقال تعالى : (**لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِن اللهِ شَيْئًا**)(٦) .. وأغناه الله : جعله غنيا غير محتاج

(١) البقرة : ٢٧٣ (٢) النساء : ١٣٥ (٣) هود : ٦٧ ، ٦٨ (٤) يونس : ٢٤
(٥) النجم : ٢٨ (٦) آل عمران : ١٠

لغيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُم اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [1] .. وقال : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ [2] .. واستغنى : اكتفى بما عنده ولم يحتج لغيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّوا وَاسْتَغْنَى اللهُ ﴾ [3] .

واسْتَغْنَى : قد تعنى اغتر بما عنده من مال ، كقوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ [4] .. والغنىُّ بحق هو الله .. قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِىُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [5] .. وقال : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُم الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ﴾ [6] .. وهو الْمستَغْنِى عن كل ماسواه .. المفتقر إليه كلٌّ ماعداه .. والغنى المطلق هو الذى لا تَعَلُّقَ له بغيره ، لا فى ذاته .. ولا فى صفاته .. ولا فى أفعاله .. بل يكون منزَّها عن العلاقة مع الأغيار .. فهو مُستَغْنٍ بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ماعداه .. ويفتقر إليه كلٌّ ماعداه .. فهو لايحتاج إلى شىء لا فى ذاته .. ولا فى صفاته .. ولا فى أفعاله .. فقد كان ولم يكن شىء غيره .. سبحانه .. هو الغنى المطلق .. هو « اللهُ » .

الْمُـــــغْنِى

أغناه يغنيه : أعطاه مايكفيه ، وقطع حاجته عن غيره ..والمُغْنى هو الله ..يغنى من يشاء من عباده بما شاء من أنواع الغنى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [7] وأفضلها غنى النفس .. ومن يستعفف يعفه الله .. ومن يستغن يغنه الله .. ومن يتصبر يُصبّره الله .. ومن يتحرَّ الخير يُعطه .. ومن الإغناء أن يقطع حاجتك عن الخلائق ، ولا تكون لك حاجة إلا إلى الله .. ومن أغناه

---

(١) التوبة : ٨٤ (٢) الضحى : ٨ (٣) التغابن : ٦ (٤) العلق : ٦ ، ٧
(٥) الأنعام : ١٣٣ (٦) فاطر : ١٥ (٧) الإسراء : ٢٠

الله لا يكون غنيا مطلقا ؛ فهو لابد محتاج لمن يعاونه ، ومن يُعدُّ له طعامه ، ومحتاج للعلاج .. ومحتاج للهواء حتى يتنفس .. ومحتاج للمأوى .. ومحتاج للدفء .. ومحتاج للحنان ، ومحتاج للوليف .. وهو - قبل كل شيء وبعد كل شيء - محتاج للمُغني - سبحانه وتعالى - الذى أغناه وكفاه ، وصدق اللهُ تعالى إذ يقول : ﴿ واللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾[1] .

الْمَانِعُ

المانع هو الذى يدفع أسباب الهلاك والنقصان عن الأبدان والأموال والأديان .. وهو الذى يمنع الإعطاء عمن شاء .. فلا مانع لما أعطى ولا مُعطى لما منع .. فأما دفع أسباب الهلاك والنقصان ، فهو الذى يردُّ أسبابها بما يخلقه من أسباب الحفظ والصيانة .. والفرق بين المنع والحفظ أن المنع يكون بالنسبة إلى أسباب الهلاك والنقصان ، وأما الحفظ فيكون بالنسبة للمحفوظ .. فكل حافظ مانع ، وليس كل مانع حافظا ، إلا إذا كان مانعا لأسباب الهلاك مطلقا ، حتى يحصل الحفظ نتيجة لذلك ، وهو سبحانه يعطى كل شيء ماهو فى مصلحته ، ويمنع ما هو سبب فساده وفق مشيئته .. ويغنى من يشاء بالعطاء ، ويمنع من يشاء بالابتلاء ، فهو يغنى ويفقر ، ويعطى ويمنع ، ويسعد ويشقى ، وهو المعطى وهو المانع .

وإن العباد من يصلح له الفقر ، ولو أغناه الله لفسد حاله ، وإن من العباد من يصلح له الغنى ، ولو أفقره الله لفسد حاله .

---

(١) محمد : ٣٨

وكلمة « مانع » اسم الفاعل لـ « منع الشيء » و« منع من الشيء » و« مُنع عن الشيء » وصيغة المبالغة : مَنُوع ومَنَّاع ،كما فى قوله تعالى : (**وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**)[1] .. وكما فى قوله تعالى : (**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ**)[2] ..والملفت للنظر أن هاتين الصيغتين لم تردا – مطلقًا – فى وصف الله تبارك وتعالى .. ووردت الصيغة العادية فقط « مانع » .. فى حين جاءت صيغ المبالغة فى صفات العفو والمغفرة والرحمة والرزق والرأفة والخلق .. فسبحان من غلبت رحمته غضبه .. سبحانه وتعالى ..هو « الله » .

الضَّـــارُّ النَّافِـــعُ

هذان الاسمان من الصفات الفعلية .. يدلان على تمام المقدرة .. فلاضرّ ولا نفع ، ولا شر ولا خير إلا وهو بإرادته .. قال تعالى : (**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**)[3] ولكن الأدب فى حقه تعالى أن ينسب العبد الشر لنفسه وأن ينسب الخير لله ، كما جاء فى قوله تعالى : (**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**)[4] .

وقد تأدب الأنبياء بذلك فقال اللهُ تعالى حكاية عن « إبراهيم الخليل » : (**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**)[5] .. وكما حكى القرآن عن قول « الخضر لموسى » عن السفينة التى خرقها : (**فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا**)[6] وواضح من السياق أن ذلك بأمر الله حيث قال : (**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى**)[7] .

ويقول الله تبارك وتعالى مبينًا أنه الفعال لكل شىء : (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ**

---

(١) المعارج : ٢١ (٢) ق : ٢٥ (٣) النساء : ٧٨ (٤) النساء : ٧٩
(٥) الشعراء : ٨٠ (٦) الكهف : ٧٩ (٧) الكهف : ٨٢

عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [١] .. سبحانه وتعالى هو الذى يُقدِّر الضُّرَّ والشر لمن أراد كيف أراد .. يُفقر ويمرض .. يضل ويشقى .. وهو سبحانه يقدر الخير والنفع لمن شاء كيف شاء .. يمنح الصحة والغنى والسعادة والجاه والهداية والتقوى على مقتضى حكمته ومشيئته .. فهو جلت حكمته المقدِّر لكل شىء .. الخالق لأسباب الشر والضر والخير والنفع والمسخر لها ابتلاءً بما شاء لمن شاء .. وهو القائل : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [٢] .. والقائل : (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [٣] .. من ذلك يتضح أن الضار النافع هو الذى يصدر منه الخير والشر ، والنفع والضر .. وكل ذلك منسوب إليه تعالى ، إما بواسطة الملائكة والإنس والجن والجمادات والمخلوقات والكائنات .. أو بغير واسطة .. فلا تظن أن العقرب أو الثعبان يقتل بسمه بنفسه .. أو الفيروسات والميكروبات تعطى الأمراض بنفسها .. أو أن الطعام يشبع وينفع بنفسه .. أو أن الجوع والصقيع يقتل بنفسه .. أو أن شيئًا من المخلوقات يقدر على خير أو شر أو نفع أو ضر بنفسه .. بل كل ذلك أسباب مسخرة لايصدر عنها إلا ما سُخرت لأجله .. وماأسباب الضر والنفع إلا قلم القدرة .. فهو الفعال لما يريد .. ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد وهو القائل عز وجل : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) [٤] .. وعليه فلا يحدث فى الوجود حركة أو سكون .. موت أو حياة .. خير أو شر .. نفع أو ضر .. إيمان أو كفر .. شكر أو نكران .. زيادة أو نقصان .. طاعةٌ أو عصيان .. إلا بإرادته ، ووفق مشيئته .. فما شاء كان ، ومالم يشأ لم يكن .. سبحانه وتعالى .. هو الضار على الحقيقة وهو النافع على الحقيقة .. هو « الله » .

---

(١) يونس : ١٠٧ (٢) الأنبياء : ٣٥ (٣) الأعراف : ١٦٨ (٤) الحديد : ٢٢

النُّــــورُ

النــور هو الظاهر فى نفسه .. المُظْهِرُ لغيره .. وهو من أسماء الله الحسنى ؛ إذ هو سبحانه الذى مد جميع المخلوقات ، بالأنوار الحسية والمعنوية .. فهو نور كل ظلمة .. ومُظهر كل خفاء .. وهو منوِّرُ السماوات والأرض .. ومُضىء الأكوان بالشموس والنجوم والأقمار .. وهو الذى أنار قلوب المؤمنين بتوحيده .. وأنار طريق معرفته لأصفيائه وأوليائه .. وهو الظاهر فى نفسه بوجوده الذى لا يقبل العدم .. المظهر لغيره بإخراجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود .. وقد كان الوجود عدما .. ولا ظلام أظلم من العدم .. فواجب الوجود الذى لم يسبق وجودَه عدم ، ويستحيل أن يتطرق إليه العدم .. هو النور المطلق ، والمخرج لكل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود .. ومنورها بوجودها .. هو النور المطلق ولا وجود إلا وهو مستمد من وجوده .. ولانور إلا وهو مُستَمَد من نوره ..

يقول الله تعالى : (**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [١] ويقول تعالى : (**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**) [٢] ويقول : (**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**) [٣] ويقول : (**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ**

---

(١) النور : ٣٥ (٢) البقرة : ٢٥٧ (٣) الأنعام : ١٢٢

مُبِينٌ ﴾[1] ويقول : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾[2] .

فهو – سبحانه وتعالى – النور المطلق .. وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحاتُ وجهه – عز وجل – ما انتهى إليه بصره من خلقه .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الْهَـــادِى

الهداية لغة : هى الدلالة بلطف على ما يُوصِّل إلى المطلوب .

والهداية أنواع :

أولاً : هداية الوجدان الطبيعى والإلهام الفطرى التى تجعل الطفل يلتقم ثدى الأم .. وتجعل الفرخ ينقر بيضه ليخرج فى الوقت المناسب .. وتجعل الطفل يبكى طالبا الغذاء أو التنظيف .. وتجعل الحيوانات حين تلد تنظف وليدها وترضعه .

ثانيا : هداية الحواس والمشاعر وهى متمِّمة للهداية الأولى .. وتكون فى الحيوان أتم وأكمل منها فى الإنسان حيث تبدأ عنده مبكرًا أى عقب الولادة أو الخروج من بيضه بقليل بالإضافة إلى قوتها كحاسة الشم عند الكلاب .. وحاسة السمع عند القطط .. وحاسة البصر عند الصقور والنسور .. وهكذا .

ثالثًا : هداية العقل وهى فى الإنسان دون سائر المخلوقات .. التى يكفيها هداية الحواس والمشاعر والإلهام لتكوِّن حياتها وممالكها ومجتمعاتها ، كمملكة النمل والنحل وهجرة الأسماك والطيور – كل ذلك بالحس والإلهام – وهى بالقوة الكافية لقيام حياتها كما هو مشاهد .

---

(١) المائدة : ١٥ (٢) الفرقان : ٦١

أما الإنسان فقد حباه الله هداية هى أعلى من هداية الحس والإلهام .. وهى هداية العقل الذى يصحح خطأ الحواس ويبين أسبابه .. فإذا رأى بعينيه الكبير – على البعد – صغيرا .. ورأى العود المستقيم فى الماء معوجًا ، صحح له العقل ذلك وأعلمه أن المسافات تؤثر فى تقدير حجم الأشياء ، وأن انكسار الضوء سبب اعوجاج العود المستقيم فى الماء .. وأن ما يراه فى المرآة هو انعكاس لصورته وليس شخصا آخر .. والذى يمكِّنه من الاختيار بين البدائل ، ولكى يعمله فى ما يراه ويشاهده من مظاهر الكون وظواهر الأشياء .. فيتمكن من تسخيرها للحصول على حياة أفضل وأرقى .

رابعًا : هداية الدين والرسل حيث أن العقل الإنسانى لايدل على الأمور الغيبية .. لو دل العقل على وجود قوة مسيطرة على الكون أو موجدة للكائنات متحكمة فى الحادثات قد يضل فيتوهم أنها الشمس أو الكواكب أو هناك آلهة متعددة .. والناس فى حظوظهم من العقل متفاوتون .. وفى تقدير الحق مختلفون .. وفيما غاب عن حواسهم متحيرون .. لذلك كان العقل قاصرًا عن الوصول لمعرفة الله .. ومن أجل ذلك أوجب « الله » تعالى على العباد معرفته وطاعته بالشرع والنقل ، وليس بالفكر والعقل .. قال سبحانه : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾[1] .. وقال : ﴿ **ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** ﴾[2] .

ولذلك أرسل « الله » الرسل .. وأيدهم بالمعجزات للدلالة على صدقهم .. وأنزل الكتب مُحْكِمًا فيها الآيات ليبين للناس طريق نجاتهم .. فبهداية الدين تُعلم الطاعات ، ويُعلم الحرام من الحلال ، وتُعلم الأمور الغيبية كسؤال القبر والميزان

---

(١) الإسراء : ١٥ (٢) الأنعام : ١٣١

والقيامة ، والصراط ، والجنة ، والنار ، والملائكة ، والجن ، والشياطين ، وتُعرف صفات الله تبارك وتعالى وأسماؤه وكيفية دعائه .

خامسا : الهداية الخاصة .. أو هدى الله .. وهى هدايته للرسل والأنبياء والأولياء والأصفياء والعلماء والذين أنعم « الله » عليهم فأخذ بأيديهم ونواصيهم إلى الحق .. وهذه الهداية أخص من هداية الرسل والدين ، فهداية الرسل بمعنى الدلالة وهى بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين : المهلك والمنجى ، وبيان ما يؤدى إلى كل منهما ونتيجة السير فى كل منهما .. إما جنة ، وإما نار وتَرْك الخيار له .

أما هداية الله فهى اصطفاء واختيار .. وإنعام وإحسان .. وقد علمنا الله – فى مفتتح كتابه الكريم – أن نسأله إياها فنطلبها منه فى كل صلاة وقيام ألا وهو قوله تعالى : (**اِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)(1) .

وقد وردت هذه الأنواع الخمسة من الهداية فى القرآن الكريم .. يقول « الله » تعالى : (**الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**)(2) .. (**والَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى**)(3) .. (**وَلَوْ شِئْنَا لآتَينَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**)(4) .. (**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِنَ الْقُرونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ**)(5) .. (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وإِمَّا كَفُورًا**)(6) .. (**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**)(7) .. (**وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)(8) .. (**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ**)(9) .. (**إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ**)(10) .. (**أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَم مَنْ لايَهِدِّى إلاَّ أَنْ يُهْدَى**)(11) .. (**وَإِن**

---

(1) الفاتحة : ٦ ، ٧ (2) طه : ٥٠ (3) الأعلى : ٣ (4) السجدة : ١٣
(5) طه : ١٢٨ (6) الإنسان : ٣ (7) البلد : ١٠ (8) الشورى : ٥٢
(9) البقرة : ٢٧٢ (10) القصص : ٥٦ (11) يونس : ٣٥

اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ)[1] .. (**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**)[2] .. (**وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**)[3] .. (**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ**)[4] . **وكل هذه الأنواع مِن أنواع الهداية من فضل الله وإحسانه .. فهو** سبحانه وتعالى **الهادى** .. هو « اللهُ » .

الْبَدِيعُ

بَدَعَ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا : أنشأه على غير مثال سابق فهو بديع .. وبَدُعَ الشيءُ : صار كاملا فى صفته فهو بديع .. وبديع : يصلح للفاعل والمفعول مثل قوله تعالى : (**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ**)[5] أى مبدعها ومنشئهما على غير مثال سابق ، وقوله : (**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ**) أى البديع الوحيد الموجود قبل أى وجود كقوله : (**هُوَ الأَوَّلُ**)[6] .. وبِدْعٌ : أى بديع أو عجيب يقال : فلان بِدْعٌ فى الأمر : أى أول من فعله ، كما جاء فى قوله تعالى : (**قُلْ مَاكُنْتُ بِدْعًا مِن الرُّسُلِ**)[7] أى ماكنت غريبًا ولا عجيبا ولا أول من قال هذا الكلام .

وابتدع الأمر : بَدَعه أنشأه على غير مثال سابق .. قال تعالى : (**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم**)[8] أى اخترعوها من تلقاء أنفسهم ، ولم يفرضها الله عليهم... وعليه « فالبديع » تعنى الذى أبدع صور المخلوقات ، وفطرها على غير مثال سبق .. والذى ليس كمثله شىء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .. « البديع » المطلق أزلاً وأبدًا .. سبحانه مبدعٌ لخلقه .. مظهر لعجائب صنعته .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

---

(١) سبأ : ٥٠ (٢) البقرة : ٢ (٣) الفرقان : ٣١ (٤) الأنعام : ٩٠
(٥) الأنعام : ١٠١ (٦) الحديد : ٣ (٧) الأحقاف: ٩ (٨) الحديد : ٢٧

الْبَاقِـــــى

بَقِىَ بَقَاءً : ضِد فَنِى .. وبَاقٍ : اسم فاعل ، قال تعالى : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ والإِكْرَام) (١) ، وقال : (مَاعِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَاعِنْدَ اللهِ باق) (٢) وقال : (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيةٍ) (٣) .. والبقيّة مابقى من الشىء أو ما استحق البقاء لما فيه من النفع والخير للناس ، وقال تعالى : (بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٤) ، وأولو البقية أصحاب الفضل الباقى والخير الثابت والنظر فى العواقب قال تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَونَ عَنِ الْفَساد فِى الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَينَا مِنْهُمْ) (٥) .

وجمع بقيّة : بقيات ، وجمع باقية : باقيات ، قال تعالى : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوابًا وخَيْرٌ أَمَلاً) (٦) ، وقال تعالى : (وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَة فى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٧) أى كلمة التوحيد تبقى على الألسن تتوارثها الأجيال .. وأبقاه ضد أفناه ، قال تعالى : (وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى) (٨) .. وأبقى : اسم تفضيل ، قال تعالى : (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) (٩) .. والباقى المطلق هو الدائم الوجود ، فلا يناله فناء ولا يجوز عليه العدم فلا انصرام لوجوده ، ولا انقطاع لبقائه .

وهو الموجود الواجب وجوده .. ولكن إذا أضيف فى الذهن إلى الاستقبال سمى « باقيًا » وإذا أضيف فى الذهن إلى الماضى سُمى « قديمًا » .

---

(١) الرحمن : ٢٧ (٢) النحل : ٩٦ (٣) الحاقة : ٨ (٤) هود : ٨٦
(٥) هود : ١١٦ (٦) الكهف : ٤٦ (٧) الزخرف : ٢٨ (٨) النجم : ٥١
(٩) طه : ٧١

والباقى المطلق هو الذى لاينتهى تقدير وجوده فى الاستقبال إلى آخِر ويُعبَّر عنه « بالأبدى » .. والقديم المطلق هو الذى لاينتهى تمادى وجوده فى الماضى إلى أول ويعبَّر عنه « بالأزلى » .. وكلمة واجب الوجود بذاته تتضمن ذلك كله..إنما هذه الأسماء بحسب إضافة الوجود فى الذهن إلى الماضى والمستقبل .. وإنما يدخل فى الماضى والمستقبل المتغيرات .. لأنهما عبارتان عن الزمان (ماضى ومستقبل) ولا يدخل فى الزمان إلا التغيّر والحركة حيث أن الحركة تنقسم بذاتها إلى ماض وحاضر ومستقبل .. كما أن التغير يُدخل المتغيّر فى الزمان بالتغيير.. فما جل عن التغيّر والحركة فليس فى زمان ، وليس فيه ماض ولا مستقبل .

وقد كان – سبحانه – قبل الزمان .. وهو خالق الزمان .. وليس للزمان عليه جَرَيَان .. فهو الأول والآخر.. والقديم والباقى .. سبحانه وتعالى ..
هو الباقى بحق ..هو « اللهُ » .

الْــــوَارِثُ

الــوارثُ هو الذى تَرْجعُ إليه الأملاك بعد فناء المُلاّك .. وذلك هو « اللهُ » – سبحانه وتعالى – إذ هو الباقى بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شىء ومصيره .. وهو القائل سبحانه : (**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا**) (١) .. وهو القائل : (**وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**) (٢) .. وهو القائل : (**وَأَنْتَ خَيرُ الْوَارِثِينَ**) (٣) .

فهو الوارث لكل الأشياء بعد فناء أهلها ، وهو القائل حين ذاك : (**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**) (٤) وهو المجيب : (**لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**) (٥) فتسقط دعاوَى

(١) مريم : ٤٠ (٢) الحجر : ٢٣ (٣) الأنبياء : ٨٩ (٤) ، (٥) غافر : ١٦

الخلق .. حيث يحسب الأكثرون ويظنون لأنفسهم مُلْكا فى الدنيا .. فتنكشف لهم حقيقة الأمر فى ذلك اليوم أن المالك الحق وبحق هو « اللهُ » .

أما أرباب البصائر فهم مدركون أن المُلْك « لله » وحده أبدًا وأزلاً .. وأنه لا مِلْكَ ولا مُلْكَ لأحد .. وأن المنفرد بالفعل فى الملك والملكوت هو « الله » .. وهو الوارث الحق .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

الرَّشِـــيدُ

الرَّشِـيدُ هو المرشد لعباده ، والذى تَجرِى تدابيره لغايتها على سَنَنِ السداد بلا استشارة ولا إرشاد .. هو المتصف بكمال الكمال .. عظيم الحكمة بالغ الرشاد .. الذى تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد .. وهو الذى يرشد الخلق ويهديهم إلى مافيه صلاحهم ، ويوجههم بحكمته إلى مافيه خيرهم ورشادهم فى دنياهم وآخرتهم .. والفعل : رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدًا ورَشَادًا : أصاب وجه الصواب والخير والحق .

والرَّشَدُ : ضد الغىّ والضلال .. والرُّشْدُ : ضد السَّفهِ وسوءِ التدبير .. وبلغ رُشْدَهُ : أى بلغ كمال عقله وحسن تصريفه للأمور .. كما جاء فى قوله تعالى : (**فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**) (١) ، وفى قوله تعالى : (**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**) (٢) ، وفى قوله : (**قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِن الْغَىِّ**) (٣) .. والمرشد : الهادى إلى الحق وإلى الخير .. وقال تعالى : (**وَمَنْ يُضلل فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا**) (٤) ..سبحان المُرْشد لما فيه الخير والفلاح .. سبحان الرشيد .. سبحانه وتعالى ..

هو « اللهُ »

---

(١) النساء : ٦ (٢) الأنبياء : ٥١ (٣) البقرة : ٢٥٦ (٤) الكهف : ١٧

الصَّبُـــــورُ

الصَّبْـر : حبس النفس على مايقتضيه العقل والشرع .. وهذا صبر على الطاعة .. **والصبر** : حبس النفس عما يمنعه العقل والشرع .. وهذا صبر عن المعصية .. **وصَبَرَ يَصْبِر** : فعل متعدٍ ولازم كما جاء فى قوله تعالى : (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**)[1] .. (**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**)[2] .. **واصْطَبَرَ** : يفيد زيادة تحمل كما جاء فى قوله تعالى : (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**)[3] .. **والصابر** : اسم فاعل كما جاء فى قوله تعالى : (**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**)[4] .. وصيغة المبالغة : صَبَّار كما جاء فى قوله تعالى : (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**)[5] .. **والمصابرة** : مفاعلة أى مغالبة غيره فى الصبر كما جاء فى قوله تعالى : (**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**)[6] .. **والصبور** : مُلهم الصبر لجميع خلقه ، الصابر على مالا يرضاه منهم .. فلا تَستَفِزُّهُ المعاصى .. ولا يعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه .. والصبور أيضا هو الذى لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه .. بل يُنزل الأمورَ بقدر معلوم ، ولا يقدمها على أوقاتها .. ويأتى بها على الوجه الذى يجب أن يكون ..وكل ذلك من غير معاناة أو معارض يعترض إرادته ، أو يثنيه عن عزمه .. وهذا لا يكون إلا لله – سبحانه وتعالى .. أما صبر العبد ففيه المعاناة والمضادة بين داع العقل والدين ، وداع الغضب والشهوة .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : (**ليس أحدٌ أو ليس شىءٌ أصبر على أذىً سَمِعه من الله ، إنهم ليدعون له ولدًا وإنه ليعافيهم ويرزقهم**) .. سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا .. سبحان الله الصبور المطلق .. هو « اللهُ » .

(١) الكهف : ٢٨ (٢) الطور : ٤٨ (٣) طه : ١٣٢ (٤) البقرة : ١٥٥
(٥) إبراهيم : ٥ (٦) آل عمران : ٢٠٠

عَدَدُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

أيها القارئ الكريم ، اعلم أن أسماء الله تعالى كثيرة ، فمنهم من قال إنها ثلاثمائة ، وقيل ألف وواحد ، وقيل مائة وأربعة وعشرون ألفا على عدد الأنبياء ، وقيل ليس لها حد ولا نهاية .. وأرجح الأقوال وأصحها ماورد فى حديث أبى موسى الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنَّ للهِ تِسْعَةً وتسعينَ اسمًا ، مِائَة إلاَّ وَاحِدا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**) .

وهذه الأسماء وردت فى حديث « الترمذى » على النحو والترتيب الذى ذكرناه لك – والحمد لله – منها ماورد فى القرآن ، ومنها مالم يرد كوصف لله فى القرآن .. كما أن فى القرآن أسماء لم ترد فى الحديث مثل : **المحيط .. القدير .. الكافى .. الشاكر .. القائم .. السريع .. الفاطر .. النصير .. المولى .. المنان .. الصادق .. المبين .. القابل .. الشديد .. ذو الطول .. المليك .. رب المشرقين .. رب المغربين .. الأحد** .. وكذلك من الأسماء التى هى مضافات مثل : **شديد العقاب .. قابل التوب .. غافر الذنب .. مُولِجُ الليل فى النهار .. مخرج الحى من الميت** .

ولو جاز الاشتقاق فى الأفعال مثل : **يكشف السُّوء .. يقذف بالحق .. يفصل بينهم .. وقضينا إلى بنى إسرائيل** .. فيشتق منها : **الكاشف ، والقاذف بالحق ، والفاصل ، والقاضى** – لزادت الأسماء زيادة كبيرة تخرجها عن الحصر.

وعليه ..وجب التَّقيُّد بما ورد فى الصحيحين : (**إنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائة إلاَّ وَاحدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » .

أما الأسماء التسعة والتسعون بنصها فلم ترد فى الصحيحين وإنما وردت فى حديث « **الترمذى** » وهو أرجح الأقوال على الإطلاق .

لكن مما لا شك فيه أن لله أسماء أخرى عَلِمَهَا مَنْ علمها ، ولم يعلمها الأكثرون .. ومنها ما اختص « الله » به نفسه .. والدليل على ذلك دعاء النبى ﷺ المشهور : (**اللهمَّ إِنِّى عَبْدُكَ ، وابْنُ عَبْدِكَ ، وابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِى بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِى كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِى ، وَنُورَ صَدْرِى وَجَلاَءَ حُزْنِى وذهَابَ هَمِّى**) .

وعليه فالواجب أن نتوقف عند الأسماء التى وردت فى حديث الترمذى ، ولا نؤلف أسماءً لم يرد بها نص مثل : المهندس الأعظم ، أو نتلقف أسماءً من البعض بلغة لا نفهمها – تحت دعوى أنها من أدعية بعض الشيوخ – وماإلى ذلك .

وهنا لابد لنا من وقفة توضح أمرًا – غاية فى الأهمية – ألا وهو :

أَفْعَالُ اللهِ

أفعال « الله » تبارك وتعالى لا تُعلَّل بالأغراض ، ولكنها تُنَزَّهُ عن العبث ، ويستحيل أن تخلو من الحكمة .. وإن خفى شىء من حكمتها على الأريب فهذا لا يعنى عدمها .. وقدرة العقل البشرى محدودة ، وغاية ما ينتهى إليه كماله هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى حسًّا ، أو وُجدانًا ، أو عقلا .. والإحاطة ببعض القواعد التى تحكم آثارها ، كأحكام الجاذبية ، والكهرباء ، والضوء ولنأخذه كمثال : فللضوء قوانين وأحكام كثيرة ، وله علم خاص به وعلماء متخصصون .. ولكن لا يستطيع أحد أن يدعى

أنه يفهم ما هو ، ولا أن يكْتَنِه معنى الإضاءة نفسه .. وكل ما هنالك أنهم يسمونه « جسيمات » تارة « وموجات » تارة .. « فالجسيمات » أشياء مادية يسمونها « فوتونات » ، وأما « الموجات » فهى ليست جسمية .. وإنما هى « موجات » ضوئية .. مما اضطر العلماء حديثًا أن يطلقوا على الضوء صفة ازدواج الشخصية لجمعه بين الوصفين .

ومن رحمة « الله » بالخلق أنه لم يجعل لهم حاجة تدعو إلى اكتناه شىء من الكائنات ، أى معرفة كنهه وإنما جَعَل حاجتهم فقط إلى معرفة الخواص والعوارض والآثار ، كالدفء والحرارة بالنسبة للشمس ، والنور للقمر ، وخواص الجاذبية ، والكهرباء ، والطفو وما إلى ذلك .. وما تصل إليه العلوم من معرفة بعض كنه الشىء كالماء مثلا ، وأنه مكون من ذرتى « أيدروجين » ، وذرة « أكسوجين » فذلك قريب من معرفة كنه الماء . أما معرفة كُنه ذرة « الأيدروجين » فهو محال ، فالعلوم والمعارف يمنحها « الله » بقدر الاحتياج إليها فقط ، وليس للعقل البشرى أن يجاوز حدوده وقدرته .. وعلى هذا يجب النظر إلى المصنوعات لننفذ منها إلى معرفة وجود الصانع وصفاته الكمالية ، أما كيفية اتصافه بها فليس للعقل مجال فى ذلك ولا يجوز الخوض فيه .

ولابد من العلم بأن أفعال « الله » لا تجب عليه ، وأن كل أفعاله صادرة عن علم وإرادة ، وكل ما صدر عن علم وإرادة فهو عن اختيار ، ولا شىء مما يصدر عن المختار بواجب على المختار لذاته .. فهو سبحانه لا يجب عليه شىء مطلقًا .

وعلى ذلك **يجب العلم بأن صفات « الله » قسمان** :

١ – **صفات ذاتية** : لا تنفك عنها الذات بل هى لازمة لها أزلا وأبدًا ولا تتعلق بها مشيئته – تعالى – وقدرته : كصفات الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعظمة والكبرياء والمجد والجلال .

٢ – **صفات فعلية** : تتعلق بها مشيئته وقدرته فى كل وقت وحين ، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال ، وإن كان هو لم يزل موصوفًا بها .. بمعنى أن نوعها قديم ، وأفرادها حادثة ، فهو سبحانه لم يزل فعالا لما يريد .. يخلق ويدبر الأمور ، وأفعاله تقع شيئا فشيئًا ، تبعًا لحكمته وإرادته .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّميعُ البَصيرُ

قال تعالى : (**وللهِ الأسماءُ الحسنى فادعوه بها وَذَرُوا الذينَ يُلحِدُون فى أسْمَائِهِ**)[١] .. سبحانه .. هو « الله » كما وصف نفسه فى كتابه ، وكما وصفه رسولُه ﷺ فى أحاديثه الشريفة .

والإلحاد فى أسمائه – عز وجل – هو العدول بها وبحقيقتها ومعانيها عن الحق الثابت لها : أى الميل بها عن المراد : بالتحريف .. أو التعطيل .. أو التكييف .. أو التمثيل ..إذ لا يعرف « الله » على الحقيقة إلا « الله » .

التحريف : مأخوذ من قولهم : « حَرَّفْتُ الشىء عن وجهه حرفا » إذا أملته وغيرته .. وتحريف الكلام : إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ .. وعليه فكل تفسير لأسماء الله وصفاته بمعانٍ لاتدل عليها الألفاظ الواردة فى النصوص يُعتبر تحريفًا للمعانى .

التعطيل : مأخوذ من العُطْل وهو الفراغ والخلو والترك كما فى قوله تعالى : (**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ**)[٢] أى أهملها أهلها وتركوها .. والتعطيل فى الصفات الإلهية معناه : نفى هذه الصفات ، أو إنكار قيامها بذات الله ، أو القول بأن ظاهرها غير مراد مع عدم تعيين معنى آخر ، كل ذلك يُعتبر تعطيلا للصفات .

---

(١) الأعراف : ١٨٠   (٢) الحج : ٤٥

التكييف : هو الاعتقاد بأن صفات الله تعالى على كيفية « معيّنة » أو يُسأل عنها بكلمة كيف ، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه وتعالى .
التمثيل : هو الاعتقاد بأن الصفات تماثل صفات المخلوقين .. وقول الحق جل وعلا : (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [(١)]) هي الأساس والحَكَم فى باب الصفات .. فإنها جمعت بين النفى والإثبات ، فهى تنفى المِثْلَ وتثبت صفتى السَّمع والبصر ، وعليه فالواجب عدم نفى الصفات مطلقا ولا إثباتها مطلقا ، ولكن الواجب إثباتها بغير تمثيل .. والكلام فى ذات الله من حيث إثبات الوجود مطلوب ، أما من حيث كنه الذات فممنوع .. أى إثبات وجود وليس إثبات تكييف .. فكذلك الكلام فى الصفات يجب أن يكون من حيث إثبات الصفات دون تكييف .. أى عدم البحث فى كيفية الصفة وكيفية اتصاف الذات بها .. وقد قال بعض السلف عن الصفات : (**تمر كما جاءت بلا تأويل**) ورأى بعض المتأخرين من الأئمة والعلماء النهى عن الكلام فى حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته .. ولكن يتكلمون فى معانى الألفاظ ومدلولاتها .. وقد قال الإمام « أحمد بن حنبل » : (**لا يُوصَفُ « اللهُ » إلا بما وَصَفَ به نَفْسَه أو وَصَفَه به رسولُه ﷺ**) .. أى : (**دون مجاوزة القرآن والحديث**) .. وقال « نُعيم بن حماد » شيخ « البخارى » : (**من شبه الله بخلقه كَفَر ومَن جَحَدَ ماوصف الله به نفسه كفر**).

---

(١) الشورى : ١١

المتَشَابِهَاتُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ

آيات الصفات فى القرآن اعتبرها السلف من المتشابهات أمثال قوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى – كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ – وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي – يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ – وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**)(1) .

وكذلك أحاديث الصفات أمثال : (**ضَحِكَ اللهُ – عَجِبَ اللهُ – فَرِحَ اللهُ – يَنْزِلُ اللهُ**) وقالوا فى شأنها ومعهم الأئمة الأربعة وسفيان الثورى وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع **أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تبارك وتعالى وترك تأويلها .. مع تنزيهه سبحانه عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث** .. وذلك جرياً على ماورد من قول أم سلمة (رضى الله عنها) وهى أم المؤمنين فى تفسير قوله تعالى : (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**)(2) حيث قالت : (**الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر**) .

وكذلك قول الإمام مالك – إمام دار الهجرة – فى نفس الآية حيث قال : (**الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة**) .

وقال « محمد بن الحسن » : اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .. وقال كثير من العلماء : إن علينا أن نتبع سلف الأمة فإنهم درجوا على ترك التَّعَرُّضِ لمعانيها ، ومنهم الإمام ابن تيمية وابن القيم وكثير من أئمة

---

(1) طه : ٥ – القصص : ٨٨ – طه : ٣٩ – الفتح : ١٠ – الزمر : ٦٧
(2) طه : ٥

التفسير : « كالبغوى » « والرَّازِى » و« الجلالين » « والألوسى » .. وقال الإمام « الرازى » : **إن الذى اختاره الأئمة المحققون من السلف والخلف ترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال »** ، وذهب طائفة أخرى من أهل السنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات بما يليق بجلاله – تعالى – مع تنزيهه عن حقيقتها وهو مذهب « **الخلف** » .

ولكن هناك متأخرين دأبوا على الصراع والاختلاف ، حتى وصل الأمر إلى تكفير بعضهم بعضًا ، وهذا من الفتن التى نعوذ بالله منها ، ونسأله أن يهدينا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه .. إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

فمثلاً هناك من الأفعال فى القرآن المنسوبة إلى الله تبارك وتعالى مثل : « **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – غَضِبَ اللهُ عليه – لَعَنَهُ اللهُ – اتَّبَعُوا ماأَسْخَطَ الله – المقْت – الأَسف** » .

قال بعضهم : هذه صفات حقيقية « لله » –عز وجل – على مايليق به ، ولا تشبه مايتصف به المخلوق من ذلك .. ولا يلزم منها مايلزم فى المخلوق .. وقال البعض الآخر : هذه ليست صفات « لله » ولا يصح أن يوصف بها ، ولا يمكن أن تشتق منها أسماء ، وإنما هى أفعال يراد لازمها ، ولا يراد ظاهرها ، وكلها تخضع أو تتعلق بالإرادة .. فالرضى إرادة الثواب ، والغضب والسخط إرادة العقاب .

مثال آخر وهو الآيات التى يُذكر فيها المجىء والإتيان « لله » مثل : (**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**)(١) .. (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يأْتِيَهُم اللهُ فِي ظُلَلٍ مِن الغَمَامِ وَالملائكةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ**)(٢)

---

(١) الفجر : ٢٢ (٢) البقرة : ٢١٠

الفريق الأول ، قال : (فى هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه ، وهما صفتا الإتيان والمجىء .. ومن السنة الإيمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذى هو فى الحقيقة إلحاد وتعطيل) .

الفريق الثانى ، قال : (المعنى أن « الله » يأتى بعذاب فى الغمام الذى يُنتظر منه الرحمة) فيكون مجىء العذاب من حيث تُنتظر الرحمة أفظع وأهول ، كما حدث مع عاد ، كما قال الله : (**فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَااسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[1] .

كما رُوى عن النبى ﷺ : (**إن وجهه كان يتغير ويذهب ويجىء إذا امتلأت السماء بالغمام ولا يُسرَّى عنه إلا إذا أمطرت**) .

ورد الفريق الأول بقولهم : إن الآيات صريحة فى بابها لا تقبل شيئًا من تلك التأويلات .. لأن الآية تتوعد الكفار بأنهم ماينتظرون إلا أن يأتيهم « الله » فى ظلل من الغمام لفصل القضاء بينهم يوم القيامة ، ولذلك قال فى آخر الآية : (**وقُضِيَ الأمرُ**)[2] والآية التى يقول فيها الله : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيهِم الملاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ**)[3] أشد تصريحًا إذ لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنه إتيان الأمر أو العذاب ؛ لأنه ردد بين إتيان الملائكة ، وإتيان الرب ، وإتيان بعض آيات الرب .

وقوله فى الآية الأولى : (**وَجَاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**)[4] لا يمكن حملها على مجىء العذاب ؛ لأن المراد مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ، والملائكة صفوف إجلالاً وتعظيمًا له .. وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام .. وهو سبحانه يجىء ويأتى وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن عن خلقه .. فهذه كلها أفعال له

(١) الأحقاف : ٢٤ (٢) البقرة : ٢١٠ (٣) الأنعام : ١٥٨ (٤) الفجر : ٢٢

سبحانه على الحقيقة .. ودعوى المجاز تعطيل له عن فعله .. واعتقاد أن ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم ، نزوع إلى التشبيه والتمثيل.

صفـــة الوجـــه :

هل هى ثابتة لله ، أو تؤول بمعنى الجهة والذات ؟

يقول تعالى : (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ والإِكْرَامِ**)[1] .. (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وجْهَهُ**)[2] .

قال الفريق الأول : تضمنت هاتان الآيتان إثبات صفة الوجه لله وهى صفة غير الذات ، ولا يقتضى إثباتها كونه تعالى مركبا من أعضاء .. بل هو صفة « لله » على مايليق به فلا يشبه وجهُه وجهًا ولا يشبهه وجهٌ .

وطالما أضاف الوجه فى الآية إلى الذات ، وأضاف النعت إلى الوجه دَلَّ ذلك على أن ذكر الوجه ليس بِصلَةٍ للذات وأن قوله : (**ذُو الْجلاَلَ والإكرام**)[3] صفة للوجه ، والوجه صفة للذات .. كما لا يمكن تأويل الوجه بالذات أو بغيرها فى مثل قوله عليه الصلاة والسلام : (**أعوذُ بنورِ وَجْهِكَ**) وقوله : (**حجابُه النورُ لو كشَفَهُ لأحرَقَتْ سبحاتُ وجْهه – عز وجل – ماانتهى إليه بصرهُ من خَلْقِه**) ، والآية الثانية أسندت البقاء للوجه ويلزم منه بقاء الذات ، ولو لم يكن له وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ فى معنى الذات .. فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل فى معنى آخر ، إلا إذا كان المعنى الأصلى ثابتا بالموصوف حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه .

قال الفريق الثانى : (**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**)[4] أى ويبقى « اللهُ » .. فالوجه

---

(١) الرحمن : ٢٧ (٢) القصص : ٨٨ (٣) ، (٤) الرحمن : ٢٧

عبارة عن وجوده وذاته – سبحانه – وزعموا أن ابن عباس قال : « **الوجه عبارة عنه** » .. والدليل على ذلك أن الموصوف بالبقاء هو الله تبارك وتعالى ، واسم « الباقى » من ضمن أسمائه الحسنى .

وهو سبحانه الذى يبقى وجوده بعد تعرض الخلق للفناء .. ويستخدم التعبير بالوجه فى اللغة العربية فيقال : « هذا وجه الأمر ، ووجه الصواب » كما يقال : « عين الحق وعين الصواب » .

وقال بعضهم : « المعنى أن تبقى الجهة التى يُتقرب بها إلى الله ، أى ماكان لله خالصا لا يفنى بل يبقى كما جاء فى قوله تعالى : (**وَالبَاقيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيرٌ أَمَلاً**)[1] ، وكقوله تعالى : (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله**)[2] أى لرضائه وطلب ثوابه ، ومنه قول النبى ﷺ : (**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِى بِهِ وَجْهَ « الله » بنى اللهُ له مثله فى الجَنَّةِ**) .. والعبارة بالوجه من مجاز الكلام .. وقول « اللهِ » يوم القيامة لملائكته : (**لاَ أَقْبَلُ مِن العَمَلِ إلاَّ ماابتغِىَ بِهِ وَجْهِى**) ، وقوله تعالى : (**فَأَينما تُوَلُّوا فثمَّ وَجهُ اللهِ**)[3] أى جهته أو ثوابه أو بمعنى القصد .. وقال بعضهم : الوجه هو عبارة عنه – عز وجل – والوجه فى الآية – من حيث وضع اللغة – صلة .

أما قولهم : إن الآيات تثبت صفة الوجه لله ، وهى صفة غير الذات ، فلا دليل عليه ، وقولهم : إنها صفة ثابتة لله يُقبل بها على أوليائه والطائعين من عباده ، كلام يفتقر إلى دليل وخصوصا أنهم لجئوا إلى التأويل فى قولهم عن قوله تعالى : (**كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إلاَ وَجْهَه**)[4] إنه أسند البقاء إلى الوجه ويلزم منه بقاء الذات .. وهل يصح على قولهم إنها صفة أن يُنادَى اللهُ بقول : « ياذا الوجه » كقولنا : « ياذا الجلال والإكرام » ؟ !

---

(١) الكهف : ٤٦ (٢) الإنسان : ٩ (٣) البقرة : ١١٥ (٤) القصص : ٨٨

التعليق : ندع الآية تمر كما جاءت بلا تأويل .. ونحن نؤمن بها كما جاءت ونفوض علم معناها المراد منها إلى « اللهِ » تعالى ، ونترك تأويلها مع تنزيهه — سبحانه وتعالى — عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث .. ونترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .

وذلك قول السلف (رضوان الله عليهم) فى الآيات المتشابهات والتى منها هذه الآيات . سبحان الله .. سبحان الله .. لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله .

صفــة اليــد :

هل هى صفة ثابتة لله ، أم تؤول بمعنى القدرة والنعمة ؟

يقول تعالى : (**مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدىَّ**)(1) .. (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**)(2) .

قال الفريقُ الأول : تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية « لله » سبحانه على مايليق به ، ولايمكن حمل اليدين على القدرة — فإن الأشياء جميعا حتى إبليس خلقه الله بقدرته — إذ لا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها .. كما أن لفظ اليدين بالتثنية لم يُعرف استعماله إلا فى اليد الحقيقية ؛ ولم يَرِد قط بمعنى القدرة أو النعمة فإنه لايسوغ أن يقال : خلقه « الله » بقدرتين أو بنعمتين .

كما أنه لايجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما إلا فى حق مَن اتصف باليدين على الحقيقة ؛ ولذلك لا يقال : للريح يد ، ولا للماء يد .. هذا بالإضافة لما ورد من إثبات الكف والأصابع ، واليمين والشمال ، والقبض والبسط ، وغير ذلك مما يكون لليد الحقيقية .

---

(1) ص : ٧٥ (2) المائدة : ٦٤

قال الفريق الثانى : اليد تأتى بمعنى القدرة ، وبمعنى النعمة .. وكما أن اليد جاءت فى القرآن مفردة فى قوله تعالى : (**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)[1] ، جاءت بالتثنية فى قوله تعالى : (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**)[2] .. وجاءت بصيغة الجمع فى قوله تعالى : (**أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيدِينَا أنْعامًا فَهُمْ لها مالِكُون**)[3] .. وكما جاء فى الحديث : (**يَمينُ الله مَلْأى سَحّاء الليل والنهار لا تُغيضها نفقة**) .. (**عن يمين الرحمن وكلتا يدى الرحمن يمين**) .. وهذه الألفاظ يستحيل حملها على ظاهرها فلزم التأويل .

صفـــة العـــين :

هل هى صفة ثابتة لله ، أم تُؤول بمعنى الرعاية ، أو العناية ، أو الرؤية ؟

قال الفريقُ الأول : العين صفة حقيقية لله – عز وجل – على ما يليق به ، فلا يقتضى إثباتها كونها جارحة مركبة من شحم وعصب وغيرها .

وأما إفرادها فى بعض النصوص وجمعها فى البعض الآخر فلا حجة فيه على نفيها فإن اللغة تتسع لذلك .

وهل يُعقل أن يتمدّح الله بما ليس فيه فيثبت لنفسه عينا وهو عاطل عنها ؟ ! !

قال الفريقُ الثانى : العين تعنى الرؤية ، أو الحفظ ، أو الرعاية فى الآيات المذكورة .

والقول أنه سبحانه تَمدَّح بالعين – ولا يُعقل أن يتمدَّحَ بما ليس فيه – كلام مردود لأن التمدُّحَ بجارحة يفيد نقصا إذ يحتاج لجارحته ، وإنما العناية ، والرعاية ، والحفظ – هى المعانى التى تُراد ، والتى يمكن أن يتمدَّحَ بها الله .. وقد أثبت الله لنفسه الرؤية بقوله : (**إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**)[4] وهذا يكفى لإثبات الصفة .

---

(١) الفتح : ١٠ (٢) المائدة : ٦٤ (٣) يس : ٧١ (٤) الحج : ٧٥

التعليق : قد يُوهم كلام **الفريق الأول** التجسيد والتجزئة ؛ إذ معنى كلامهم إن لله وجها ، ويدًا ، أو يدين ، وعينا يبصر بها ، مما يُعطى الفرصة للذهن للتوهم والتخيل بما يتنافى مع صفات الجلال ، والمجد ، والعزة .. كما أنهم لابد لاجئون للتأويل كغيرهم فى مثل قوله تعالى : (**عَلَى عَيْنِى**)(1) .. (**بِأَعْيُنِنَا**)(2) .. (**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**)(3) .. وكذلك فى الحديث : (**يمين الله ملأى سحاء**) .. (**وكلتا يدى الرحمن يمين**) .. وقد يُؤخذ عليهم أنهم فى كلامهم لايتركون فرصة للاحتمال ، بل يؤكدون وجود الوجه واليد والعين .. وإن سلَّمْنا بقولهم ، فكيف يكون المعنى فى قوله تعالى مُثنيا عن بعض أنبيائه : (**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَقَ ويَعقُوبَ أُولى الأَيْدِى والأبصَارِ**)(4) .. (**وَاذْكُر عَبْدَنا داود ذا الأَيدِ إنه أوَّاب**)(5) .. ؟ !

معيـــة اللّـــه :

هل معيّة الله معيّة حسيّة أم معيّة معنويّة ؟

يقول تعالى : (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ**)(6) .. (**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**)(7) .. (**واللهُ مَعَكُم**)(8) .. (**واللهُ مَعَ الصَّابرين**)(9) .. (**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ**)(10)

قال الفريق الأول : المعية عامة شاملة لجميع المخلوقات .. فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه ، وقدرته ، وقهره ، وإحاطته .. لا يغيب عنه شيء .. ولا يعجزه شيء .. وهناك معية خاصة وهى معيته لرسله وأوليائه بالنصر ، والتأييد ، والمحبة والتوفيق ، والإلهام .

---

(1) طه : 39 (2) الطور : 48 (3) الفتح : 10 (4) ص : 45
(5) ص : 17 (6) الحديد : 4 (7) التوبة : 40 (8) محمد : 35
(9) البقرة : 249 (10) المجادلة : 7

قال الفريق الثانى : المعيّة : معيّة معنوية تعبر عن العلم ، أو القدرة ، أو النصر ، أو التأييد .. واتفقوا فى هذا الشأن مع الفريق الأول .

التعليق : نجد أن الفريق الأول تمسّك بالظاهر اللفظى فى بعض الأمور التى يريدون إثباتها ، ويخرجُون على ظاهر اللفظ بالتأويل فيما يريدون ، حيث اعتبروا ظاهر اللفظ فى العين واليد .. الخ .. ولجئوا إلى التأويل فى المعية فاختلف معيار التفسير لديهم .. ونجد أن الفريق الثانى أتعبوا أنفسهم فى التخريج ، والتأويل لكل الصفات المُختلف عليها مما قد يؤدى إلى التعسف .. ونقول : إن هذه الآيات من المتشابهات ، وكذلك الأحاديث .. ولا يصح الخوض فيها وإلا كان الخائض ممن سماهم « الله » فى كتابه فى قوله تعالى : (**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**) (١) وقد قال تعالى حاسما للأمر : (**وَمَايَعْلَمُ تأْويلَه إلاَّ اللهُ**) (٢) .. وعليه فمن الواجب ترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .. كما يجب الإيمان بهذه الآيات كما جاءت حتى نكون من الذين وصفهم الله فى قوله : (**والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِنْ عِنْد رَبنا**) (٣) ونفوض علم معناها المراد منها إلى « الله » تعالى دون تأويل ودون تشبيه لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث إذ ليس كمثله شىء .. سبحانه وتعالى ..هو « الله » .

نزولُ الله إلى السماء الدنيا :

هل هو حقيقة ، أم مجاز ؟

قال رسول الله ﷺ :

(**إنَّ اللهَ يَنْزِلُ إلى السماءِ الدنيا فى الثُّلثِ الأخيرمن الليل ..**) .

قال الفريقُ الأول : إن النزول صفة لله على ما يليق بجلاله وعظمته .. فهو لا

---

(١) ،(٢) ، (٣) آل عمران : ٧

يماثل نزول الخلق .. كما أن استواءه على العرش لايماثل استواء الخلق .. وإن النزول صفة حقيقية لله – عز وجل – على الكيفية التى يشاء .. ويقولون : إن الرسول أخبرنا أنه ينزل ، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ؟

قال الفريق الثانى : إن النزول ليس على الحقيقة ، وإنما هو كناية أو مجاز عن فتح أبواب التوبة ، والرحمة ، وإجابة الدعاء .. إذ لا يجوز على الله الانتقال من مكان إلى مكان ؛ لأن ذلك من صفات المحدثات .

التعليق :

ثبت من العلوم الحديثة أن الثُّلث الأخير من الليل مستمر طوال الأربع والعشرين ساعة .. حيث يكون الليل فى مكان .. والنهار فى مكان آخر بسبب كروية الأرض ولدورانها حول نفسها .. فلو أخذنا بقول الفريق الأول .. لكان معنى ذلك : أن الله فى السماء الدنيا طوال الأربع والعشرين ساعة .. !! مما يحدد لله مكانا – وتعالى الله عن أن يحده زمان .. أو يحويه مكان – ولو أخذنا بقول الفريق الثانى .. لخضنا فيما لا علم لنا به .. وعليه فالواجب الإيمان بالحديث كما جاء .. دون الخوض فى تعيين التأويل .. ويكفى أن نعلم أنه بالنسبة لنا – حيث نكون – فى أى مكان يُستحب الاستغفار ، والدعاء ، واللجوء إلى الله فى ساعات الليل .. حيث هدوء الأصوات ، والفراغ عن الشواغل ، والبعد عن الرياء ، والتوجه بإخلاص لله عز وجل .

كَلاَمُ اللهِ :

هل هو بصوت وحرف ، أم هو معانٍ قائمة بذات الله ؟

قال الفريق الأول : إن الكلام صفة لله عز وجل قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ولايزال متكلما إذا شاء .. والله سبحانه نادى « موسى » بصوت ، ونادى « آدم » بصوت ، ولكن الحروف والأصوات التى تكلم بها صفة

له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم .. والكلام عن سؤال « عيسى » يوم القيامة حكاية لما سيكون يوم القيامة .. وقوله تعالى : (**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**)(١) ، والآيات غيرها تدل على أن « الله » قد نادى « موسى » وناجاه حقيقة من وراء حجاب بلا واسطة مَلَك .. والكلام لابد وأن يكون حادثًا لقوله : (**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**)(٢) ، وقوله : (**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ**)(٣) يدل على حدوث النداء .. والنداء لايكون إلا صوتًا مسموعا .. وكذلك حدث مع « آدم وحواء » فإن النداء حدث بعد وقوع الخطيئة ، وكذلك قوله : (**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**)(٤) .. (أى فى يوم القيامة) .

وأما الكتب السماوية فهى كلام الله ، تكلم بها حقيقة بألفاظها ومعانيها بصوت نفسه .. فهو الذى تكلم بالتوراة بالعبرانية .. وبالإنجيل بالسريانية .. وبالقرآن بلسان عربى مبين .. فإذا قرأه العباد قرءوه بصوت أنفسهم ، وكما أنه كلامه فهو كتابه ، لأنه كُتِبَ فى اللوح المحفوظ وفى المصاحف .

قال الفريق الثانى : إن الله سبحانه وتعالى متكلم آمِرٌ نَاهٍ واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام خلقه ، فليس بصوت يحدثُ من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان .. وإن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب .. وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لايقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق .. وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض .. والكلام حقيقة كلام النفس ، وإنما الأصوات قطِّعت حروفا للدلالات كما يُدَلُّ عليها تارة بالحركات والإشارات ..

---

(١) النساء : ١٦٤ (٢) الأعراف : ١٤٣ (٣) مريم : ٥٢ (٤) القصص : ٦٢

والقديم عبارة عما ليس قبله شيء ، وإذا كانت الباء قبل السين فى قوله : (**بسم الله الرحمن الرحيم**)[1] فلا تكون السين قديمة لأنها متأخرة عن الباء .. وإن عُقل أن يكون له سبحانه علم واحد هو علم بجميع المعلومات ، فليعقل أن له صفة واحدة للذات : هى الكلام بجميع مادل عليه بالعبارات ، والكلام قائم بنفسه سبحانه وتعالى ، قديم ، وكذا جميع صفاته ، إذ يستحيل أن يكون « الله » مَحِلاًّ للحوادث ، داخلا تحت التغيير ، لأن مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته ، وإنما الحادث هو الأصوات الدالة عليه ، وقول الله : (**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ** [2]) طلب قائم بذات الله من الأزل وأصبح موسى مُخَاطبا به بعد وجوده ، إذ خُلِق له معرفةٌ بذلك الطلب ، وسمعٌ لذلك الكلام القديم .

التعليق : الكلام : غير مجهول .. والكيف : غير معقول .. والإيمان به : واجب .. ومحاولة معرفة الكيفية : خروج عن منهج السلف والسنة ..

نقول **للفريق الأول** : كيف كان جبريل يوحى إلى النبى ﷺ ؟ ! حين كان يأتيه مرةً على هيئة البشر فيكلمه ، ومرة يأتيه الوحى كصلصلة الجرس – وهو أشدُّه عليه – ثم يُفْصَمُ عنه وقد وعى ماقال ، فكيف يكون ذلك كلاما بصوت وبحرف ، والصحابة جالسون ولا يسمعون ؟ ! كما أن النبى ﷺ فرق بين كلام جبريل – وهو فى صورة البشر – وبين الوحى إذا جاء على هيئة صلصلة الجرس – وحين قال عز وجل : (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**)[3] هل كان كلاما بصوت وبحرف ، أم كان إلهاماً ، كما فى قوله تعالى : (**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ومن الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**)[4] .. ثم إن الحرف ينتج من إطباق الشفتين وتحريك اللسان حتى يُقْطَعَ الصوتُ إلى حروف ، والأصوات

---

(١) الفاتحة : ١ (٢) طه : ١٢ (٣) القصص : ٧ (٤) النحل : ٦٨

تنشأ من اصطكاك الأجرام وانسلال الهواء وهي موجات صوتية لابد لها من وسط كالهواء ، أو غيره .. بدليل أن الصوت فى الفراغ لا وجود له ، وذلك ثابت علميا .. واحتياج الصوت للوسط الناقل ، واحتياج الحروف لشفاه تخرجها ، يستحيل على البارئ سبحانه وتعالى .

ونقول **للفريق الثانى** : إن خلق علم ضرورى وسمع « لموسى » يَعى به كلام الله القائم بذاته العلية – شىء .. والتكليم شىء آخر .. حيث قال تعالى : (**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيمًا**)[1] .. إذًا فلا بد من الإيمان بأن الله متكلِّمٌ ، ونفوض العلم بكيفية كلام الله .. إلى الله .. الذى ليس كمثله شىء .. سبحانه وتعالى .. هو « الله » .

صفات أخرى :

ورد فى بعض الأحاديث الشريفة ألفاظ نسبت إلى « الله » – عز وجل – الضحك ، والعجب ، والمقت ، والسخط ، والفرح ، والكراهية .. اختلف فيها المتأخرون أيضًا :

قال الفريق الأول : على المؤمن الإيمان بكل ما نسبه « اللهُ » لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء على العرش .. والمجىء .. والإتيان .. والنزول إلى السماء الدنيا .. والضحك .. والرضا .. والغضب .. والكراهية والمحبة المتعلقة بخلقه – كإيمانه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، وأنواع التدبير المختلفة ، إيمانًا خاليا من التحريف أو التعطيل أو التكييف أو التمثيل – وإثبات هذه الصفات على الوجه اللائق بعظمة الرب جل شأنه .

---

(١) النساء : ١٦٤

والكلام عن صفة « **الفــرح** » فى الحديث الشريف : (**للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ بِنَاقَتِهِ**) أنه صفة حقيقية « لله » – عز وجل – على ما يليق به وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته وقدرته فيحدث له هذا المعنى المعَبَّر عنه بالفرح عندما يحدث عبده التوبة والإنابة إليه ، وهو مُستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب وقبوله توبته ، وفرح الله منزه عن فرح المخلوق ولا يشبهه لا فى ذاته ولا فى أسبابه ولا فى غايته ، فسببه كمال رحمته وإحسانه التى يحب من عباده أن يتعرضوا لها ، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

ويثبتون أيضاً « **الضحك** » « لله » – عزوجل – كما ورد فى الحديث النبوى .. (**ويضحكُ اللهُ إلَى رَجُلَين يَقْتُل أحدُهما الآخرَ ، فكِلاَهُما يدْخُلُ الجنَّة**) على المعنى الذى يليق به سبحانه ، والذى لايشبه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب .. بل هو معنى يحدث فى ذاته عز وجل عند وجود مقتضيه ، ويحدث بمشيئته وحكمته ، فإن الضحك إنما ينشأ فى المخلوق عند إدراكه لأمر عجيب يخرج عن نظائره ، والحالة المذكورة فى الحديث كذلك ، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاة – فى بادئ الرأى – لسخط الله على هذا الكافر وخذلانه ومعاقبته فى الدنيا والآخرة ، فإذا منّ الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة وهداه للدخول فى الإسلام وقاتل فى سبيل الله حتى يُسْتَشْهَدَ فيدخل الجنة كان ذلك من الأمور العجيبة حقًّا ! !

ويثبتون صفة « **الْـعَـجَـب** » ويقولون : « ليس عجبه سبحانه ناشئا عن خفاء الأسباب أو جهل بحقائق الأمور – كما هو الحال فى عجب المخلوقين – بل هو معنى يحدث له – سبحانه – على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه وهو الشىء الذى يستحق أن يُتعجب منه ».

ثم يثبتون « **الْـقَـدَم** » « لله » استنادًا لحديث جهنم : (**تزال جهنم يُلْقَى فيها**

وتقول : **هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط وعزتك وكرمك)** ويقولون : فى هذا الحديث إثبات الرِّجْل والقدم لله عز وجل وهذه الصفة تجرى مجرى بقية الصفات ، فتثبت لله على الوجه اللائق بعظمته وجلاله .. ولمّا كان مقتضى رحمته وعدله ألا يعذب أحدًا بغير ذنب ، وكانت النار فى غاية العمق والسعة حقق وعده تعالى .. فوضع فيها قدمه فحينئذ يتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها .

قال الفريق الثانى : هذه الألفاظ ظاهرها غير مراد .. وإنما المراد لازمها ويُرجعونها إلى صفة الإرادة التى هى قائمة بالذات العلية ، وهى أزلية وليست بحادثة .. فيقولون : « إن محبة الله لعبده معناها إرادته لإكرامه ومثوبته »، وكذلك يقولون فى الرّى والغضب والكراهية والسخط كلها تعنى إرادة الثواب والعقاب .. ويفسرون الفرح بلازمه وهو الرضا ، ويفسرون الرضا بإرادة الثواب .

ويؤولون « **الضحك** » بالرضا والقبول .. ويؤولون « **القدم** » بخلق مستحقين للنار يقدمهم ربهم إلى جهنم مثل قوله : (**لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِم**)[1] .. ويقولون « الرِّجْل » بمعنى السِّرْب أو الفوج كقولهم : رِجْلُ جَرَّادٍ أى : سِرْبٌ من الجراد أو فوج من الجراد .. ولا يأخذونها على معنى الجارحة .. ويستدلون بباقى الحديث وهو قوله : « **أما الجنة فيخلق لها خلقا يدخلونها ليملأوا أماكنها الخالية ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا ، فيسكنهم فضل الجنة** » .

التعليق : الصفات التى أثبتها **الفريق الأول** كالضحك والعجب والفرح والحب والكره والبغض والسخط كلها ترجع إلى المشاعر والأحاسيس فى مفهوم

---

(١) يونس :٢

اللغة العربية .. ولا ترجع إلى صفات الأفعال كالخلق والرزق والنفع والضر والرفع والخفض والقبض والبسط .. فلا يمكن أن يسوى بينهما فى المفهوم .

كما أن الفريق الأول وقع فى أكثر من مرة حيث يقولون عن هذه الصفات أنها معان تحدث فى ذاته مرة .. ومرة أخرى يقولون إنها معانٍ تحدث له سبحانه .. ومن المعلوم أن ما لايخلو من الحوادث فهو حادث .. ثم إن كثيرًا من الأفعال المنسوبة للذات العلية وردت فى القرآن ولم تُعتبر كصفات للذات العلية مثل : « يَكْشِفُ السُّوءَ .. ويقْذِفُ بالْحَقِّ » وما إلى ذلك .. ومن هنا كان رأى السلف عدم إعمال العقل فى المتشابهات من الآيات ، وكذلك ما كان على نهجها من الأحاديث مثل **حديث الشمس التى تذهب كل يوم تستأذن ربها فى الشروق ويوشك أن يقال لها ارجعي من حيث أتيت ولا يؤذن لها وهو مما أورده البخارى فى صحيحه .**

وعلى ذلك فالأسلم للعقيدة والأحوط أن نؤمن بما جاء فى الآيات والأحاديث دون أن نؤول أو نشبه أو نعطل .. ونفوض العلم لله تعالى ، ونترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ، ونقول كما قال السلف : تمر الآيات كما جاءت بلاتأويل .. وكذلك الأحاديث .. والله أعلم بمراده – سبحانه : **(ليس كمثله شَىْءٌ وهو السميعُ البصيرُ)**[1] .. هو « الله » .

(١) الشورى : ١١

النجاةُ فى فَهْمِ الصفاتِ

قال رسول الله ﷺ : (كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَه ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، وَكَتَب فِي الذِّكْرِ كُل شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض) .

وقال ﷺ :(لَمَّا قضَى الله الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهوَ عِنْده فَوْقَ الْعَرْش : إنَّ رَحْمتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) .. وقد تقبل الأصحاب (رضوان الله تعالى عليهم) هذا الكلام دون أن يُعملوا عقولهم فى كيف ولماذا وأين ومتى .. وكان جل اهتمامهم أن يعرفوا أوامر « الله » ونواهيه حتى يعملوا بأمره وينتهوا بنهيه .. كي يفوزوا برضوانه ويتقوا غضبه وسخطه .. وما فهموه عملوا به ، ومالم يفهموه آمنوا به .. هكذا كان سلوكهم مع القرآن فى الأمور التى لا تتعلق بالتكاليف كالأخبار عن الأمم الماضية والقصص والغيبيات وما إلى ذلك .. حيث أن القرآن هو آخر الكتب السماوية .. وهو لهم ولمن بعدهم .. ولنا ولمن بعدنا .. حتى تقوم الساعة .

ولا شك أن المعارف تتزايد والعلوم تكثر والمخترعات والمكتشفات باستمرار تعطى فهمًا أوسع .. خصوصًا فى الآيات الكونية .. وعليه فهناك من يُقال لهم — كالصحابة — : (أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)[1] فيعتبرون هم ومن يجيء بعدهم .. وهناك مايُقال لمن يأتى بعدهم وبعدنا مثل : (وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ[2]) ففهمها الصحابة على أنها حركة الشمس من المشرق إلى المغرب والتى تراها الأعين .. ويأتى مِنْ بعدهم مَنْ يكتشف أن المتحرك هو الأرض وليس الشمس فيقول : إن الخطاب كان بحسب الأمر الظاهر للأعين فخاطبهم بما يرون .. ثم يأتى بعد ذلك مَنْ يقول : بل

(١) الغاشية : ١٧ (٢) يس : ٣٨

الخطاب على الحقيقة فالشمس فعلا تجرى ساحبة للمجموعة الشمسية معها حيث لا يعلم مستقرها إلا الله .. ويعلم الله ما سوف يُكتشف بعد ذلك .

هذا بالنسبة للمشاهدات فكيف الأمر بالنسبة للذات العلية والتى نُهينا عن التفكر فيها بالحديث : (**تَفَكَّرُوا فِى صِفَاتِ اللهِ وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِى ذَاتِهِ فَتَضِلُّوا**) .. لاشك أن إعمال العقل فى مالا يجب للعقل أن يعمل فيه متلفة للعقل ، مفسدة للعقيدة .. و« **الله » تبارك وتعالى قد أراد بنا وأراد منا .. فما أراده منا بينه لنا ، وما أراده بنا أخفاه عنا .. فلا يصح أن نشغل أنفسنا بما أراده الله بنا ، عما أراده الله منا .**

والتفكر فى الصفات يجب أن يكون فى أثرها وليس فى كنهها ، أو كيفية اتصاف الله بها ، واعتبار أن الألفاظ دلالات .. مجرد دلالات .. أما الحقيقية فيعلمها الموصوف سبحانه وتعالى .. فمثلا حديث : (**رَحْمَتِى غَلَبَتْ غَضَبِى**) .. وفى رواية (**سبقت غضبى**) تفيد أن الرحمة سابقة وهى قديمة .. وصفات الله قديمة .. والقديم هو مالا يوجد شىء سابق عليه .. وفى الحديث يتضح أن الغضب مسبوق بالرحمة وإذًا فهو ليس بقديم ، وما ليس قديما لايصح أن يطلق عليه أنه صفة للذات العلية .. هكذا فهموها .. والرحمة مشتق منها اسمان «الله» وهما : الرحمن والرحيم .. أما « الغضب » فليس منه اشتقاق ، ولايصح منه اشتقاق فى حق « الله » تعالى .. و« الصدقة تطفئ الغضب » كما ورد فى الحديث ، والصفات لا تُطفأ بل هى أزلية أبدية ، وبالتالى فلا يصح أن نصف « الله » تبارك وتعالى بما لم يصف به نفسه ، مستنتجين من الآيات ، أو مستنبطين من الأفعال .

والأفعال الخاصة أو المتعلقة بالإرادة والقدرة تبقى على أصلها دون تخريج أو تأويل .. فالله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد ..

وليس للعبد أن يسأل لماذا وكيف : لا فى أفعال الله ، ولا فى تكاليفه للعباد .. فالله تبارك وتعالى يتعبد الخلق بما شاء ليميز الطائع من العاصى .

وقد ضُربت أمثله فى القرآن عن أسئلة لا تجوز حتى نتنبه لها .. وما ضُربت لنا إلامثلاً وعبرة لنعتبر كما قال تعالى :

(**لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِى الأَلْبَابِ**)[1]

السؤال الأول ، **قول** « **موسى** » كما جاء فى القرآن :

﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

تاب من أى شىء .. ؟ تاب من السؤال ، كما تاب « نوح » من قبله : (**إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ**)[3] ففهمنا من سؤال « موسى » أن « الله » – سبحانه – لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار .. وفهمنا أيضا أن الرؤية ليست مستحيلة ؛ لأن « الله » علق الرؤية على ممكن .. وطالما علق الأمر على ممكن فهو ممكن .. واستقرار الجبل مكانه من الممكنات لو شاء الله .. ونحن فى الدنيا .. البصر فان .. والفانى لا يمكن أن يَرَى الباقى .. وفى الآخرة يُمنح المؤمنون جسدًا باقيًا .. وخلدا فى النعيم .. وبصرًا باقيًا .. فيرون الباقى بالباقى : (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**)[4] .. وكيفية الرؤية « لله » أمر لا يعنينا ..

---

(١) يوسف : ١١١ (٢) الأعراف : ١٤٣ (٣) هود : ٤٧ (٤) القيامة : ٢٢ ، ٢٣

ولكننا نسأله سبحانه أن يرزقنا رؤيته يوم القيامة .. والمطلوب منا أن نعمل كى نفوز بهذه الرؤية .

السؤال الثانى ، قول « **عُزَيْر** » كما قَصَّ علينا القرآن :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

والقصة عبرة .. و« عُزير » نبى مؤمن .. لا يسأل إلاّ إذا سُمح له ليتضح لنا أن هذا السؤال – وهو من نبى – لم ينل عنه إجابة .. ومن باب أولى إذا نحن سألناها فلن ننال عنها إجابة .

والسؤال الثالث ، قول « **إبراهيم** » كما جاء فى القرآن :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

---

(١) البقرة : ٢٥٩ (٢) البقرة : ٢٦٠

أى لا يُنال ولا يدرك ما عنده .. وأن ما طلبته أمر مستحيل أن تصل إليه .. ولكن « الله » جعل الطيور تأتيه قبل أن يتم هو نداءه لها .. وهكذا يكون إحياء الموتى : ﴿**ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ**﴾ (١) .

وكما حدث بالنسبة لعرش « **بلقيس** » مع « **سليمان** » كما حكى القرآن : ﴿**قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُونِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾ (٢) ..

تحقق الطلب بهذه الصورة المعجزة إذ أعطاه الله فى ذلك استعمال « كن فيكون » فيها .. وهنا نأخذ فكرة عن السنن الكونية ، وكيف يمكن إبطالها ، أو إبطال بعضها دون البعض كالطعام الذى لم يتسنّه ، والحمار الذى أماته الله ثم أحياه ، و« عُزير » الذى لم يتأثر بالموت (١) .. فهى سنن مختلفة فى وقت واحد .. ومكان واحد .. وكيف أننا نعيش فى هذه الدنيا مع الأسباب التى ربطها « الله » بالمسببات .. أما فى الجنة فترتفع الأسباب .. وتبقى المسبَّبات .. بالحقائق دون الوسائط ، وعليه ، فلا يصح استخدام أدوات الاستفهام : أين ، ومتى ، وكيف ، ولماذا ، مع « الله » .

إذ هو – سبحانه وتعالى – الفعال لما يُريد .. ولا يقع فى ملكه إلا ما يُريد .. سبحانه وتعالى .. هو « اللهُ » .

---

(١) الروم : ٢٥ (٢) النمل : ٤٠ (٣) كما فى آية ٢٥٩ سورة البقرة .

كُن فيكُونُ

قال تعالى : « **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** »[1] ..

قُرئت : « فيكُونُ » بالرفع ، وقُرئت : « فيكونَ » بالنصب ، فإن كانت على القراءة الأولى فهى مرفوعة على الاستئناف أى : فهو يكون ، أو فإنه يكون .. ومعنى ذلك أنه يكون كائنا بعد الأمر .. وإن كانت على القراءة الثانية : فإن الكلمة تكون معطوفة على « يقول » ، وعلى ذلك يكون كائنا مع الأمر .. وفى هذه الحالة ، فإن أمره للشىء « كُنْ » لا يتقدم الوجود ، ولا يتأخر عنه .. فلا يكون الشىء مأمورا بالوجود إلا وهو موجود بالأمر .. ولا يكون الشىء موجودًا إلا وهو مأمور بالوجود .. ومثال ذلك : قيام الناس من قبورهم لا يتقدم دعاء الله ولا يتأخر عنه ، كما قال تعالى : « **ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً من الأَرْضِ إِذَا أَنْتُم تَخْرُجُونَ**)[2] .. وأنه – سبحانه وتعالى – أجرى سنته فى تكوين الأشياء أن يكونها بكلمه « كن » أزلاً ..فإن قيل : فى أى حال يقول له « كن فيكون » ؟ فى حال عدمه أم فى حال وجوده ؟.. فإن كان فى حال عدمه : استحال أن يأمر إلا مأمورا كما يستحيل أن يكون الأمر إلا مِنْ آمر .. وإن كان فى حال وجوده ، فتلك حال لا يجوز أن يُؤْمَر فيها بالوجود والحدوث ؛ لأنه موجود حادث فعلا .. والإجابة بواحد من ثلاثة :

الأول : إنه خبر من « الله » –تعالى– عن نفوذ أمره فى خلقه الموجود فعلا .. كما أمر فى بنى إسرائيل أن يكونوا قردة خاسئين فكانوا كما أراد .. ولا يكون هذا الأمر بـ « كن » واردًا فى إيجاد المعدومات .

---

(١) يس : ٨٢ (٢) الروم : ٢٥

الثانى : إن « الله » -تعالى- عالم بما هو كائن قبل كونه ، وبما هو حادث قبل حدوثه ، وكل الموجودات قبل أن تكون وتحدث كانت موجودة فى علم «الله» -تعالى- الأزلى على صورتها التى وُجدت عليها ، والتى أرادها الله لها ، فجاز أن يقول لها : «كونى» ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود فوُجِدت وخرجت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة حيث أن جميعها متصورة لديه أزلاً ، عالمًا بها فى حال عدمها قبل أن تكون .

الثالث : إن ذلك خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدثه ويكونه إذا أراد خلقه وإنشاءه كان ، من غير أن يكون هناك قول يقوله .. وإنما هو قضاء يريده .. فعبر عنه بالقول – وإن لم يكن قولا – تمثيلا بتأثير قدرته فى مراده بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع أو توقف أو افتقار لمزاولة عمل واستعمال آلة .

وفى كل الأحوال دلت الآية على أمور ثلاثة :

الأول : إن كلام «الله» تعالى قديم غير مخلوق .. لأنه لو كان قوله «كُنْ» مخلوقًا لاحتاج إلى قول ثان واحتاج القول الثانى إلى ثالث .. وتسلسل وهذا محال عقلاً .

الثانى : إن «الله» – سبحانه وتعالى – مريد لجميع الحادثات والحوادث كلها خيرها وشرها ، نفعها وضرها .. والدليل على ذلك أن من يرى فى سلطانه شيئا يكرهه ولا يريده فلأحد شيئين : إما لكونه جاهلا لايدرى .. وإما لكونه مغلوبا لا يطيق .. ولا يجوز هذا ولا ذاك فى وصفه – سبحانه وتعالى – فهو العالم القادر أزلاً وأبدًا .

الثالث : إن «الله» تبارك وتعالى لم يزل آمرًا للمعلومات بشرط وجودها .. قادرا مع تأخر المقدورات .. عالما مع تأخر المعلومات .. فكل ما فى الآية يقتضى الاستقبال فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجىء بعد أن لم تكن .. وكل ما

يُسند إلى «الله» تعالى من قدرة وعلم فهو قديم لم يزل .. والمعنى الذى تقتضيه عبارة (كن) هو قديم قائم بذات الله تعالى أزلاً .. سبحانه وتعالى .. هو «اللهُ» .

أَفْعَالُ الْعِبَادِ

كل إنسان يجد فى نفسه تمييزًا بين الجميل من الأشياء والقبيح .. وكذلك تنفعل نفسه بهجة وسرورًا من الجميل واشمئزازًا ونفورًا من القبيح .. وهذا التمييز فى المبصرات يوجد مثله فى المسموعات والمشمومات .. وكذلك المعقولات من المعانى كالأمانة والصدق والهمة والشرف والشجاعة .

وعلى هذا التمييز قامت الصناعات ، وتطور العمران ، وحدثت المخترعات التى تهدف لراحة الإنسان وسعادته فى دنياه .

وإن اختلفت الأذواق فى الأشياء جمال وقبح . وقد يجمل القبيح بجمال أثره كمرارة الدواء فى إحداث الشفاء .. وقد يقبح الجميل بقبح ما يقترن به أو ينتج عنه .

كل هذا عرفه العقل البشرى .. وفرق بين النافع والضار ، وبين الخير والشر .. وهذا منبت التمييز بين الفضيلة والرذيلة ، والخير والشر .. وعلى ذلك فإن كل إنسان يزن أفعاله بعقله ويقدرها بإرادته ، ويقوّم نتائجها .. ثم بعد ذلك يتمم الفعل بقدرته الذاتية وما يملكه من إمكانيات مختلفة ، ولكنه رغم ذلك قد تأتى النتائج على غير ما فكر وقدر ، فيعاود الفكر فى أسباب الفشل ، فإن كان لتقصيره ، أو غفلته عن شىء ، أو تدخل من غيره ، عاود المحاولة مستفيدا من تجربته ، وإن كان لأسباب خارجة عن إرادته ، تبيَّنَ له أن فى الكون قوة أكبر من أن تُحيط بها قدرته ، وأن وراء تدبيره سلطانا لاتصل إليه سلطته ؛ فيخضع لسلطان القضاء والقدر ، ويعلم أن الإنسان يكسب بإرادته واختياره وقدراته

الممنوحة له ما هو وسيلة لسعادته فى الدنيا والآخرة .. وكذلك يعلم أن قدرة الله هى المرجع لجميع قدرات المخلوقات ، **وأن إرادة الله فوق كل إرادة وأن من آثارها ما يحول بين العبد وبين إنفاذ ما يريد .. وأنه لاعون يفيد فى بلوغ ما يريد إلا عون الله وتوفيقه ، وأن مشيئة الله – وحدها – لها السلطان الأعلى فى إتمام المراد لإزالة الموانع وتهيئة الأسباب المتممة أو الحيلولة بين العبد وبين ما يريد بأسباب فوق قدرة العبد .**

فالإنسان يعلم أنه فى أعماله الاختيارية –عقلية كانت أو جسمانية– قائم بتصريف ما وهب «الله» له من المدارك والقوى فيما خُلِقَت لأجله ، وعليه أن يستفيد من أخطائه ، وأن يستفيد من تجاربه ، حتى يحصل على أحسن النتائج ومنتهى ما يمكن من المعطيات المسخرة من فضل «الله» .. ومع ذلك يعلم أن مقاليد السماوات والأرض «لله» ، يبسط الرزق لمن يشَاء ويقدر .. فيأخذ بالأسباب ويتوكل على «الله» .. لأن ترك الأسباب جهل وإن ترك التوكل فسق .. فالله تعالى هو الخالق لكل شىء .. خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر آجالهم ، وأرزاقهم ، وأنشأ قدراتهم وحركاتهم ، فالعنكبوت ونسجه ، والنحل وعسله ، والنمل ودأبه ، والقمر وفلكه ، والإنسان وعمله ، وسائر الكائنات ، ومالها من حركات ، وسكنات ، هى كلها من صنع بديع الأرض والسماوات .

ويتميز الإنسان عن كافة المخلوقات بأنه مُكلَّف مختار فى عمله على مقتضى فكره .

وقد وهبه الله ثلاث قوى لم تمنح لغيره من المخلوقات وهى :

الذاكرة والمخيلة والمفكرة : فالذاكرة تأتيه بصور الماضى .. والمخيلة تجسم له المذكور وتنشئ له مثالا فى المستقبل بما يحيط به من ألم أولذة .. ثم يبدأ عمل الفكر فى إيجاد الوسيلة المناسبة والملائمة للحصول عليه أو الهرب منه .

هذه القوى الثلاث هى التى أوجدت التمييز فى الإنسان بين النافع والضار ،

والخير والشر مِن قَبْل الرسالات السماوية .. فإذا جاءت الأديان بالأمر والنهى والأحكام وبيان الحلال والحرام ، كان الإنسان مؤهلاً للتكليف بما منحه الله من عقل ، وبما ميّزه عن سائر الحيوان .

وكتابة الله لكل شيء فى الذكر قبل خلق السماوات والأرض كتابة علم وليست كتابة إجبار -كما يفهم بعض الناس- فإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة .. فكل ما يحدث فى الوجود من حركة أو سكون لابد وأن يكون مطابقا لما كُتِبَ من قبل الخلق .. فلا شيء فى العلم الأزلى بسالب للتخيير فى الكسب .. وكون ما فى العلم يقع لا محالة إنما جاء من حيث هو الواقع .. والواقع لا يتبدل .

فإن «الله» -تبارك وتعالى- يعلم أن العبد سوف يعمل كذا فى وقت كذا وهذا العمل يثاب عليه .. أو أنه سوف يعمل كذا فى وقت كذا وهذا العمل يعاقب عليه .. ولا يخرج الواقع - مهما كان - عن كونه مرادًا لله -عز وجل- من الأزل .. إذ لا يقع فى ملكه إلا ما يريد .. من هنا نعلم أن أفعال العباد من خلق الله وتقديره .. وهى فى نفس الوقت من كسب العبد وتدبيره .. فهى ليست من خلقهم واختراعهم بدليل عدم معرفة العبد بتفاصيل أجزاء الحركات ومنشأ طاقاتها ، وارتباطها بالأعصاب والعضلات .

وهى كذلك ليست جبرًا مطلقًا ، بدليل الفارق الموجود بين الحركة الجبرية كحركة الحجاب الحاجز ، ودقات القلب ، وبين الحركة الاختيارية كالتقلب من جنب إلى جنب .

وكون الأفعال كلها مرادة لله تعالى ، فلا يعنى ذلك أنه يرضى عنها .. فهو لايرضى لعباده الكفر .. ولكنه يريده منهم .. وإلا لما وقع .. وهو القائل :

(**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا**)[1] .. وهو القائل : (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**)[2] .. ومع أن وقوع المعاصي والشرور والكفر والفجور بإرادته إلا أنه لم يأمر بها .. وهو القائل : (**قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**)[3] بل أمر بالإيمان والطاعة وهو القائل : (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ وَالْبَغْي**)[4] .

وعليه فالأمر غير الإرادة .. وقد يتفقان ، وقد يختلفان .

وإرادة الله لاتنافى حرية العبد فى الاختيار ، ولذلك قال : (**فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ**)[5] .. وقال : (**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**)[6] .. وقال : (**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**)[7]

وعليه يمكن تلخيص الأمر فيما يلى :

« الله » تبارك وتعالى خلق الخلق وهو يعلم ما يكون منهم ، فأحصاه عليهم قبل أن يخلقهم ضمن ما كتب من قضاء وقدر إلى أن تقوم الساعة ، وذلك فى اللوح المحفوظ .

عند جمع الخلق فى الرحم مضغة ، يأمر « الله » الملَك فيكتب أربعة أشياء ، هى مكتوبة أصلا فى اللوح المحفوظ ، وهى : **أجله – رزقه – وأثره – وشقى أم سعيد .**

* * *

---

(١) الأنعام : ١٠٧ (٢) يونس : ٩٩ (٣) الأعراف : ٢٨ (٤) النحل : ٩٠
(٥) المدثر : ٥٥ ، ٥٦ (٦) التكوير : ٢٨ ، ٢٩ (٧) الإنسان : ٢٩ ، ٣٠

جميع قدرات العباد من خلق «الله» وإيجاده ، ولكنه سخرها لهم ، ومكنهم فيها .. كل ما يقع فى ملك الله لا يخرج عن سلطانه وقهره وإرادته .. فهو المالك للملك والملكوت المتسلط بالقهر والجبروت .

سمح بوقوع ما لايرضاه من العباد حتى يلزمهم الحجة .. إذ لو أدخلهم النار بمجرد خلقهم لمعرفته الأزلية بما سيكون عليه أمرهم – من جحود ونكران – لقالوا كما أخبر عنهم : (**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مَنْ قبل أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**)[1] .

أمر العباد جميعًا بالطاعة ، وأرسل الرسل ، وأيدهم بالمعجزات ، وأنزل الكتب ، مُحكما فيها الآيات : (**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاس عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**)[2] .. وقال : (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**)[3] .. وقال : (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِك الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّها رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرى إلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**)[4] .

ومع كل ذلك « فلله » –تبارك وتعالى– أن يصطفى من عباده من يشاء فينعم عليهم بالتوفيق والهداية .. وهو القائل : (**اللهُ يَصْطَفِي مِن الْملاَئِكَة رُسُلاً ومِنَ النَّاس**)[5] .. والقائل : (**وَرَبُّك يَخْلُقُ مَا يشَاءُ وَيَخْتَارُ**)[6] .. والقائل : (**اللهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْه مِنْ يُنِيبُ**)[7] .. لما كانت أفعال العباد ليست منفصلة عن حركة الوجود ، بل هى مرتبطة به ، وبالنظام العام للكون الذى خلقه الله ، وقدر كل حركة فيه وسكون .. **كان نصيبهم من أفعاله هو الاكتساب والاختيار .. ولا قدرة لهم ولا دخل .. فى وقوعها من عدمه ..**

---

(١) طه : ١٣٤ (٢) النساء : ١٦٥ (٣) الإسراء : ١٥ (٤) القصص : ٥٩
(٥) الحج : ٧٥ (٦) القصص : ٦٨ (٧) الشورى : ١٣

لذلك كان حساب العباد على النية .. ولذلك قال النبى ﷺ (إنّما الأعمالُ بالنيَّاتِ وإنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) .. وقال تعالى : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ)(1) .. وقال : (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)(2) .

ونية العبد خير من عمله .. ولكن عليه أن لا يكتفى بالنية بغير عمل أو جهد فإن النية بغير عمل لا تنفع .. بل هى وهم وخيال .. والنية الحقيقية هى ما استقر فى صدر العبد ، وعزم على إنفاذها ، واتخذ الطريق إلى إخراجها إلى حيز الوجود بالعمل .

لذلك قال النبى ﷺ : (لَيْسَ الإيمانُ بالتَّمنِّى ولكن الإيمانَ مَا وَقَرَ فى القَلْبِ وصَدَّقَهُ الْعَمَلُ ، وإن أُناسًا خَرَجُوا من الدنيا ولا حسنةَ لَهُمْ ، يقولون : نُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ، وقد كذبوا ، فَلَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لأَحْسَنُوا الْعَمَلَ) .

كلما علم الله من عبده الصدق فى النية ؛ وفقه للعمل الصالح ويسره له .. وعلى قدر التوكل ؛ تكون الإعانة .. وعلى قدر التفويض ؛ يكون التوفيق .

بَيْنَ الفَضْلِ وَالْعَدْلِ

نفى « الله » —تبارك وتعالى— عن نفسه الظلم ، فقال : (وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)(3) ، وقال سبحانه : (وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)(4) .. وقال . (وَمَارَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيد)(5) ، وقال يوم القيامة : (لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ)(6) ، وقال (فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)(7) ، وقال : (وَمَاظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

(1) النساء : ١٠٠ (2) الإسراء : ٢٥ (3) البقرة : ٢٨١ (4) غافر : ٣١
(5) فصلت : ٤٦ (6) غافر : ١٧ (7) الأنبياء : ٤٧

يَظْلِمُونَ) [1] .. وقال : (**وَمَاظَلَمْنَاهُم وَلَكِن كَانُوا هُم الظَّالمِينَ**) [2] ، وقال : (**وَمَاظَلَمَهُم اللهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** [3]) وقال : (**وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**) [4] .

وعليه فلا يبقى إلا العدل والفضل .. والعدل اسم من أسماء « الله » –تبارك وتعالى– وصفة من صفاته .. و«الله» ذو الفضل العظيم .. وقد تفضل الله تبارك وتعالى على الخلق بالإيجاد .. ومنّ عليهم بالتكاليف والطاعات .. وماكان الإيجاد واجبًا عليه ولا تكليف العباد لنفع يحصل لديه .. فسبحانه لا تضره المعاصى ، ولا تنفعه الطاعات .. لأن الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان .. فقدكان متصفا بالعزة والجبروت من قبل خلق المُلك والملكوت .. وله أن يُوجب على خلقه مايشاء لا ما يشاءون ، وأن يُكلِّفهم مالا يُطيقون .. فإن أدخلهم الجنة فبفضله ، ورحمته ، وليس لأنهم يستحقُّون .. وإن أدخلهم النار فبعدله ، وهم لا يُظلمون .. سبحانه لا يُسأل عما يفعل .. وهم يُسألون .

ومن رحمته أن أوجب على العباد معرفته ، وطاعته ، بالشرع والنقل ، وليس بالفكر والعقل .. ولذلك أرسل الرسل ، وأيّدهم بالمعجزات للدلالة على صدقهم ، وأنزل الكتب محكما فيها الآيات ، ليبين للناس طريق نجاتهم ، ثم عمت رحمته العالمين ، فأرسل خاتم النبيين ، وآتاه السبع المثانى ، والقرآن العظيم فنسخ به كل الشرائع والأديان ولم يرض من الدين إلا الإسلام .. وأصبحت شهادة « أن لا إله إلا الله » لاتدل على كمال الإيمان .. مالم تقترن بشهادة « أن محمدًا (ﷺ) رسول الله » وقد تحققت بعثته ﷺ للإنس والجن كافة بنص القرآن وبإخباره هو عن نفسه .. وقد أيده إليه بالمعجزات الباهرة التى يضيق المقام

---

(١) النحل : ١١٨ (٢) الزخرف : ٧٦ (٣) آل عمران : ١١٧ (٤) الكهف : ٤٩

عن ذكرها .. وأجلها شأنا القرآن العظيم ، الذى تحدّى به فصحاء العرب . فعجزوا أن يأتوا بسورة من مثله .. وتحدّى به علماء أهل الكتاب من يهود ونصارى فيما جاء به من أخبار الأولين وأنباء المرسلين .

وهو ﷺ العربى الأمى الذى نشأ فى بيئة تعبد الأصنام ، وتسجد للأوثان ، ومكث فى قومه أربعين سنة هى عمره قبل الرسالة ، فاشتهر فيهم بالصدق والأمانة حتى لقّبوه بـ « محمد الأمين » .. وقد أوجب « الله » على كل من بلغته الدعوة المحمدية – عن أى طريق – أن يصدقه فى كل ماأخبر به من أمور الدنيا والآخرة .

نَسْأَلُ « اللهَ » – تبارك وتعالى – أن نكونَ من المؤمنين به ، وبرسوله (ﷺ) ..
ومن الراسخين فى العلم ، فنؤمن بما جاء فى القرآن ..
وماجاء فى سنة سيِّد الأنام ..
ونعملَ بما فهمناه .. ونفوِّضَ علم مالم نَفْهَمْه إلى « اللهِ » ..
وأن نهتمَّ بما أَرَادَهُ « الله » مِنَّا ..
ولانشغل أنفُسَنَا بما أراده « اللهُ » بِنَا ..
ولا نُعملَ عُقولَنَا فيما لا يجبُ للعقل أن يعمل فيه ..
إنه على مايشَاءُ قديرٌ .. وبالإجابة جدير ..
وهو نِعْمَ المَوْلَى ، ونعم النصير .. سبحانه وتعالى .. هُوَ « اللهُ » .

الكتاب القادم

٢ الإسلام وأركانه

- أركان الإسلام الخمس بأسلوب سهل يسير .
- فقه المذاهب الأربعة مختصر بغير إخلال .
- الأحوط فيما قرره الأئمة الأربعة .
- ما اتفق من آراء الأئمة مع الحديث الصحيح .
- مرجع ترجع إليه في كل ما يختص بالصلاة والزكاة والصيام والحج .
- كتاب لا غنى عنه لكل بيت مسلم .

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

* * *

رقم الإيداع ٥٠١١ ١٩٩١
الترقيم الدولى I.S.B.N 977 - 14 - 0081 - 9